إلى الأقصى

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية

1433هـ

غار ثور

العدد المائة 100 محرم وصفر 1433 هـ - كانون الأول وكانون الثاني 2011 - 2012 م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 100 محرم وصفر 1433 هـ ـ كانون الأول وكانون الثاني 2011 - 2012 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

دلالات إيمانية لمقولة (ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهِ ثَالِثُهُمَا)	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	11

ملف العدد

الهجرة النبوية مرتكزات ودوافع	أ. محمد ذياب أبو صالح	17
التأريخ الهجري من مظاهر تميز الأمة	د. ياسر حماد	25
ملامح من سيرة محمد ﷺ	أ. محمود حافظ إسماعيل	34
الهجرة النبوية انطلاق والتقاء ومودة وإخاء	د. شفيق عياش	38
فضائل الهجرة في سبيل الله	أ. لبيب طه	41

بحث العدد

الإسلام وأثره في نهضة مجتمعنا	أ. صلاح قاسم سعيد الفرا	47

فقه

أنت تسأل والمفتي يجيب	دار الإفتاء الفلسطينية	58

وعظ وارشاد

فاستبقوا الخيرات...	أ. كمال بواطنه	64
قصة آية الغدر والخيانة	أ. هيام جرار	68

قضايا

المفاوضات والمستعمرات الاستيطانية	أ. عودة عريقات	73
الذمي والمواطنة	د. سعيد القيق	79
ثورة الصمت	أ. فراس بشارات	91

تربية وتعليم

المكتبة المدرسية ودورها في تعليم اللغة العربية	أ. يوسف عدوي	94

نشاطات ...

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	102
مسابقة العدد 100	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 98	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}

الشيخ / محمد أحمد حسين ـ المشرف العام

يظهر من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التبني الواضح لمنهج التيسير، ورفع الحرج والعسر عن العباد في الحج، والصيام، والتطهر للصلاة، وفي الشأن كله، وينسجم هذا كله مع إعلان الله تعالى عن إقرار مبدأ التيسير، ورفع الحرج، والعسر في دين الإسلام، فقال تعالى: {... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...}. (1)

وأخذ الرسول، صلى الله عليه وسلم، بهذا المنهج، ونهى عن التعسير، فعن أَنَسٍ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا). (2)

وعن سَعِيدِ بن أبي بُرْدَةَ، عن أبيه عن جَدِّهِ، لَمَّا بَعَثَهُ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَمُعَاذَ بن جَبَلٍ، قال لَهُمَا: (يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا). (3)

ولم يقف تبني الرسول، صلى الله عليه وسلم، لمبدأ التيسير، ومنهج رفع الحرج على الأوامر والنواهي والتوجيهات، بل كان منهجه العملي يقوم على ذلك، فعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أنها قالت: (ما خُيِّرَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بين أَمْرَيْنِ قَطُّ، إلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يَكُنْ إِثْمًا، فإن كان إِثْمًا، كان أَبْعَدَ الناس منه، وما انْتَقَمَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ قَطُّ، إلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بها لِلَّه). (4)

وكان الصحابة، رضي الله عنهم، يلحظون منهج التيسير في سلوك النبي، صلى الله عليه وسلم، فيقتفون أثره، ويقتدون به، فعن الأَزْرَقِ بن قَيْسٍ، قال: (كنا على شَاطِئِ نَهَرٍ بِالأَهْوَازِ قد نَضَبَ عنه الْمَاءُ، فَجَاءَ أبو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ على فَرَسٍ، فَصَلَّى، وَخَلَّى فَرَسَهُ،

فَانْطَلَقَتْ الْفَرَسُ، فَتَرَكَ صَلاتَهُ وَتَبِعَهَا حتى أَدْرَكَهَا، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جاء فَقَضَى صَلاتَهُ وَفِينَا رَجُلٌ له رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يقول: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ، تَرَكَ صَلاتَهُ من أَجْلِ فَرَسٍ، فَأَقْبَلَ فقال: ما عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وقال: إِنَّ مَنْزِلِي مُتَرَاخٍ، فَلَوْ صَلَّيْتُ وتركت لم آتِ أَهْلِي إلى اللَّيْلِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ صَحِبَ النبي، صلى الله عليه وسلم، فَرَأَى من تَيْسِيرِهِ). (5)

مفهوم اليسر والعسر والصلة بينهما

الناظر في معنى اليسر في اللغة يجد أنه يعني التسهيل والتمكين، ويسر الشيء يسراً ويسارة، يَسُرَ وخَفَّ وقَلَّ، فهو يسير، وتيسر الشيء تسهل وتهيأ . (6)

أما العسر في اللغة فهو ضد اليسر، ويعني: الضيق والشدة والصعوبة. (7)

ويقرر الله سبحانه وتعالى ملازمة اليسر للعسر، ويؤكد ذلك في آيتين وردتا في سورة من أقصر السور القرآنية، ففي سورة الشرح يقول تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}. (8)

وينفي الكرماني في كتابه أسرار التكرار في القرآن أن يكون في الآية الكريمة تكرار، معللاً أن المعنى {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ} الذي أنت فيه؛ من مقاساة الكفار، يسراً في العاجل، وإن مع العسر الذي أنت فيه من الكفار، يسراً في الآجل، فالعسر واحد واليسر اثنان، وعن عمر، رضي الله عنه: (لن يغلب عسر يسرين). (9)

وقيل: إن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد، كقولك جاءني رجل فأكرمت الرجل، واليسر اثنان لتنكيره، وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة. (10)

تيسير أمور العبادات

ينص الله تعالى في قرآنه الكريم صراحة على تقرير مبدأ التيسير في سياق فرض الصيام، وبيان بعض أحكامه، فيقول تعالى: {...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ...}(11)، فالله أتاح المجال للمسلم أن يؤجل أداء صيام أيام رمضان حال

مرضه أو سفره فيها، ثم عقب الله على هذه الإتاحة بلفت الأنظار إلى منهج التيسير المتضمن في هذه الإتاحة، وذلك بالنص اللفظي على أن الله يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، وورد مثل مضمون هذا النص في سياق الآية الكريمة التي أثبتت مشروعية التيمم عوضاً عن الغسل والوضوء حين تعذر القيام بهما، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}. (12)

فقد جاء النص في هذه الآية الكريمة على أن الله لا يريد أن يجعل حرجاً على عباده بإلزامهم بالغسل والوضوء عند فقد الماء، حيث شرع لهم التيمم بديلاً عنهما في ظروف قاهرة تستدعي اللجوء إلى التيمم.

ويظهر التيسير واضحاً في الحج، فلم يُفرض على غير مستطيع، قال تعالى: {... وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ...}(13)، وهذا يعني أن من منعه العجز عن أداء الحج لا يكلف به، ولا يحمل وزر تركه، وفي هذا من التيسير ما لا يخفى.

والرسول، صلى الله عليه وسلم، فتح في الحج باب التيسير على أوسع نطاق من خلال إباحة التقديم والتأخير في أعمال الحج التي يؤديها الحاج، فعن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو ابن الْعَاصِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فقال: لم أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قبل أَنْ أَذْبَحَ، فقال: اذْبَحْ ولا حَرَجَ، فَجَاءَ آخَرُ فقال: لم أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قبل أَنْ أَرْمِيَ، قال: ارْمِ ولا حَرَجَ، فما سُئِلَ النبي، صلى الله عليه وسلم، عن شَيْءٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: افْعَلْ ولا حَرَجَ). (14)

فتكرار الرسول، صلى الله عليه وسلم، لقول: (افْعَلْ ولا حَرَجَ) في إجابته لمن سأله عن تقديم بعض أعمال الحج يوم النحر في منى، يدل - دون ريب- على الأخذ بمبدأ التيسير على الحجاج، ورفع العسر والحرج عنهم.

ومن التيسير في الحج تخيير الحاج بين التعجل والتأخر أيام منى، فقال تعالى: {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.(15)

وقد جعل الله تعالى مخرجاً لمن قصد الحج وشرع به، ثم أحصر عن أدائه، بأن أمره بالهدي دون أن يشدد عليه، بل نصت الآية الكريمة على ذبح ما استيسر من الهدي، وجعل فدية حلق المحرم رأسه بسبب المرض صياماً أو نسكاً، وشرع صيام عشرة أيام بدلاً من الهدي للمتمتع الذي يعجز عن تقديم الهدي، وكان من التيسير في هذا أيضاً، أن وزع الصوم هنا بين أيام الحج، وبعد العودة إلى الأهل، بواقع ثلاثة أيام في الحج، وسبعة بعد الرجوع إلى الأهل، فقال تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(16)، فهذا مثال يدل بجلاء ووضوح على منهج التيسير في الإسلام.

ومن وجوه التيسير في الحج؛ الجمع بين الصلاتين بعرفة، وتقصير الخطبة: فعن سَالِم أَنَّ الْحَجَّاجَ بن يُوسُفَ عَامَ نَزَلَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ، رضي الله عنهما، سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ، رضي الله عنه: (كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَوْقِفِ يوم عَرَفَةَ؟ فقال سَالِمٌ: إن كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ، فَهَجِّرْ بِالصَّلاةِ(17) يوم عَرَفَةَ، فقال عبد اللَّهِ بن عُمَرَ: صَدَقَ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بين الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ في السُّنَّةِ، فقلت لِسَالِمٍ: أَفَعَلَ ذلك رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم؟ فقال سَالِمٌ: وَهَلْ تَتَّبِعُونَ في ذلك إلا سُنَّتَهُ). (18)

التوفيق بين منهج التيسير والحرص على أداء الواجبات والسنن

من الفضل والخير للمرء المسلم أن يتَّبع سنن النبي، صلى الله عليه وسلم، فيعمل وفقها، فالله حث على ذلك، فقال سبحانه وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(19)، وفي الحج حث الرسول،

صلى الله عليه وسلم، المسلمين على أخذ مناسكه عنه، فعن جَابِر قال: (رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يرمي على رَاحِلَتِهِ يوم النَّحْرِ، وَيَقُولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه). (20)

وعلى الرغم من الحرص على اقتفاء أثر الرسول، صلى الله عليه وسلم، في أداء مناسك الحج وأعماله، فإن الحاج يواجه بعض المصاعب في التقيد التام بأداء المناسك على الوجه المسنون الوارد عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، ودفعاً للحرج عنه في مثل هكذا ظروف وأحوال، فقد أذن له باللجوء إلى بدائل أخرى، ضمن نطاق منهج التيسير الذي يقره الإسلام، فقد أبيح الطواف للراكب عند عجزه عن المشي، عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت: (شَكَوْتُ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنِّي أَشْتَكِي، قال: طُوفِي من وَرَاءِ الناس وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ، فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يُصَلِّي إلى جَنْبِ الْبَيْتِ، يَقْرَأُ بالطور وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ). (21)

بل أجيز للحاج أن يطوف ويسعى محمولاً عند اللزوم، وشرع للحاج أن يصلي ركعتين بعد الطواف في أي مكان من المسجد الحرام، حين يتعذر عليه أداؤهما عند مقام إبراهيم، على الرغم من أن القرآن الكريم حث على اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(22)

مواضع التيسير في خاتمة سورة البقرة

تضمنت خاتمة آيات السورة القرآنية الأكبر، النص على أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فقال تعالى:{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(23)، كما تضمنت هذه الآية الكريمة دعاء المؤمنين ربهم، طالبين العفو عن زلاتهم بسبب النسيان أو الخطأ، وأن لا يحمِّلهم الله ما لا طاقة لهم به، وأن يعفو عنهم، فهذا الدعاء، وما سبقه من إعلان عن نفي التكليف فوق الوسع والطاقة،

ينسجمان مع مبدأ التيسير الذي يقره الإسلام العظيم في العبادات وغيرها، حتى إنَّ القرآن الكريم نفسه شُمل في نطاق التيسير، فقال تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً}(24)، وقال سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}. (25)

فليت الناس يتدبرون هذه الحقائق الدالة على الأخذ بمبدأ التيسير، حتى يكون لديهم تصورات صحيحة عن خصائص الإسلام، ومزايا منهجه في التشريع، فيعمدوا إلى تبني هذا المنهج في مواقفهم وآرائهم، ويتزودوا بالتقوى، حتى تتيسر شؤونهم ومصالحهم، حيث وعد الله أهل التقوى بتيسير أمورهم، فقال تعالى: {... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً}. (26)

الهوامش

1. الحج: 78.

2. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.

3. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بَعْث أبي موسى ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهما، إلى اليمن قبل حجة الوداع.

4. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا.

5. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا.

6. المعجم الوسيط، ج2، ص1064.

7. لسان العرب، ج4، ص 563.

8. الشرح: 6-5.

9. أسرار التكرار في القرآن، ج1، ص221.

10. التسهيل لعلوم التنزيل، ج4، ص206.

11. البقرة: 185.

12. المائدة: 6.

13. آل عمران: 97.

14. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها.

15. البقرة: 203.

16. البقرة: 196.

17. هجر: صلى وقت الهاجرة، أي وقت الحر الشديد.

18. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الجمع بين الصلاتين بعرفة.

19. الأحزاب: 21.

20. صحيح مسلم، كِتَاب الْحَجِّ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله، صلى الله عليه وسلم: (لتأخذوا مناسككم).

21. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد لعلة.

22. البقرة: 125.

23. البقرة: 286.

24. مريم: 97.

25. القمر: 17.

26. الطلاق: 4.

دلالات إيمانية لـمقولة (ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللّه ثَالِثُهُمَا)

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله - رئيس التحرير

خلال رحلة هجرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه الصديق، رضي الله عنه، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، أرسلت قريش في طلبهما، وعينت جائزة لمن يأتيها بالرسول، صلى الله عليه وسلم، فلحق بهما رجال منها طمعاً في القبض عليهما، وحصل أن دخلا غار ثور، ووصل ملاحقوهما إلى باب الغار، فبدت على أبي بكر آثار التحسب من عواقب هذا الحصار، عن أبي بَكْرٍ، رضي الله عنه، قال: (كنت مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ لو أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قال: ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا). (1)

فردُّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، على تخوف صاحبه أبي بكر، رضي الله عنه، بقوله: (ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا)، ينم عن عمق إيمانه صلى الله عليه وسلم بربه، وقوة توكله عليه سبحانه وتعالى، مع أخذه بأسباب النجاة والنجاح، وفي الآيات القرآنية التي تضمنت وصف ما جرى في هذا المقطع من رحلة الهجرة ما يدل بوضوح على عمق يقينه صلى الله عليه وسلم، فيقول سبحانه وتعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (2)

فيا له من موقف! يوحي بالدروس والعبر لمن أراد الاستزادة بالإيمان، والتمكن من

التسلح بالعزيمة ورباطة الجأش، في مواجهة الخطوب والمحن والابتلاءات، فإذا كانت الرعاية الربانية تحف المرء، فما عليه من بأس، وإذا كانت عين الله ترعاه، فما عليه من خوف، وإذا كان المرء مع الله، فإنه يستسهل الصعاب، ويصبر على تداعياتها، مستعيناً بالصبر والصلاة، عملاً بهدي الله، حيث أوصى سبحانه بهما، فقال تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}(3)، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (4)، وسبق أن طلب موسى، عليه السلام، من قومه الأخذ بهذا الهدي الناجع، فقال تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}. (5)

لا ملجأ من الله إلا إليه سبحانه:

قد يقول قائل إن الذي تنقطع به سبل النجاة لا يملك إلا أن يلجأ إلى الله، لأنه لا يجد أمامه خياراً آخر، حتى لو لم يكن مؤمناً من قبل، والله تعالى يقول: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}(6)، نعم؛ هذه حقيقة واقعة، فحتى فرعون لما صدمته الحقيقة، وعاين الغرق، طلب النجاة من الله، فقال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.(7)

غير أن الذي يلجأ إلى ربه من منطلق إيمانه ويقينه به سبحانه وقدرته على كل شيء يختلف حاله، عمن يلجأ إلى الله خلاصاً من حبكة أو شدة ألمت به، مخالفاً تنكره للإيمان في أحواله الأخرى، فرد الله على المحاولة اليائسة لفرعون بالتشبث بطوق الإيمان للنجاة من المصير المحتوم، والعاقبة الوخيمة، بسبب طغيانه، وظلمه، وشططه، ونكرانه الإيمان بقوله سبحانه وتعالى: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}. (8)

فشتان بين الذي يرجو الله بعد إفلاسه من دعم الآخرين، ومدد العالمين، وبين الذي يرجوه سبحانه ابتداء، في سرائه وضرائه، وكل أحواله، من هنا يجيء تنبيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى ضرورة المحافظة على حسن رجاء الله في الرخاء والشدة، فعن

ابن عَبَّاس، قال: (كنت خَلْفَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَوْمًا فقال: يا غُلامُ؛ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ). (9)

الأمر لله من قبل ومن بعد:

إن موقف النبي، صلى الله عليه وسلم في الغار، ورده على تخوف صاحبه، بتلك العبارات الإيمانية، يرسم للمؤمن الصورة المشرقة للمواقف النابعة من الإيمان حين يواجه الصعاب، ويبتلى بالمحن، فما دام الأمر – أولاً وأخيراً، ومن قبل ومن بعد –بيد الله، فمن المنطق والسلامة والسداد، أن لا يكون التوجه بطلب النجاة إلا إلى الله، مع الأخذ بمقومات الإجابة، ومتطلبات رضاه سبحانه.

ومن المفيد بمكان تدبر المضامين المقترنة بذكر حسن التوكل على الله، كما وردت في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي مثلتها العينة المستشهد بها آنفاً، فالله يؤكد على إمداده النصر لنبيه، صلى الله عليه وسلم، حتى إنَّ التفاف الأنصار والأصحاب حوله مناصرين، لم يكن أن يتم لولا أن أراد الله، {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ...}، وقد ساق الله ذكر نصرته صلى الله عليه وسلم، وصاحبه وهما في الغار، على أن هِبَةَ النصر محصورة بالله سبحانه، ويثبت الله ذكر مضمون هذه الحقيقة في آيتين كريمتين، فيقول سبحانه: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ}(10)، ويتكرر هذا الذكر في سورة الأنفال مع اختلاف بسيط في حروف بعض الألفاظ وترتيبها، فيقول سبحانه: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (11)

وأكد الله في آية من سورة التوبة التي أشارت إلى نصرة الله جل وعلا لرسوله، صلى الله عليه وسلم، في هجرته على أن كلمة الله هي العليا، وكلمة أهل الباطل هي

السفلى، وأن الذي يقدر هذه الحقائق، ويقرر ما يترتب عليها من نتائج، هو الله العزيز الحكيم، فقال سبحانه وتعالى: {...وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

وهذه الحقيقة تتماشى مع الحقيقة الإيمانية الساطعة المتمثلة بكون النفع والضرر بيد الله وحده، فالخلق، مجتمعين أو متفرقين لا يملكون ولا يستطيعون أن يحدثوا في الكون شيئاً لا يريده الله سبحانه وتعالى.

ربط النتائج والعواقب بالمقدمات والأسباب:

في قصة فرعون أشار سبحانه تعالى إلى سبب رفض الاستجابة الإيجابية لطلب فرعون، حين لجأ إلى الاعتراف بالإيمان بعد فوات الأوان، فقال تعالى: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}

كما أفصح سبحانه وتعالى عن سبب إعراض كثير من الناس عن الحقائق الإيمانية، مبيناً أنه الغفلة والعمى الذي يصيب القلوب، على الرغم من كون العيون مبصرة، فعقب سبحانه وتعالى على حقيقة ما انتهى إليه أمر فرعون بقوله سبحانه: {...وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}

وفي المقابل؛ فإن الذين يستجيرون بحمى الله، ويعملون بهديه، يهبهم الله سبحانه وتعالى خيرات كثيرة، ونعماً جزيلة، فيبعد عنهم هَمّ الحزن، فها هو الرسول، صلى الله عليه وسلم، يهدئ روع صاحبه في أحلك الساحات، وأدق الظروف، قائلاً: {...لاَ تَحْزَنْ... } فعلى أي أساس تقوم هذه التهدئة؟ إنها تقوم على مرتكز إيماني: {... إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ...} فالذي يعتقد جازماً أن الله معه وناصره، يطرد شبح الحزن عن نفسه، وينطلق من وحل الخوف إلى ربيع الأمل، واستشراف الفوز.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ:

إن الذي يعتمد على الله ويتوكل عليه سبحانه، لن يخيب رجاؤه، ولن يحبط أمله، فالله جازى نبيه الذي نطق ساعة المحنة والكرب بما يعبر عن مكنون إيمانه، الله معنا، وما ظنك باثنين الله ثالثهما، جازاه بأن أنزل السكينة على قلبه، وأيده بجنود السماء والأرض

تنافح عنه، وتقاتل من عاداه وخاصمه، {...فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...} ومن سنن الله في خلقه أن يحقق التمكين والمنعة في الأرض للمؤمنين الصادقين ولو بعد حين، فالعبرة بالعواقب والنهايات {...إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، وهكذا كانت العاقبة للمهاجر محمد، صلى الله عليه وسلم، أن دانت له بقاع كثيرة من المعمورة قبل موته، وخلال فترة دعوته محدودة السنين، واسعة الآثار والتحصيل، حتى إنَّ الدنيا ما زالت تردد اسم محمد، صلى الله عليه وسلم، بكل الفخر والاعتزاز، وستبقى على ذلك بإذن الله وتوفيقه، وها هي بقاع الدنيا تشهد حضوره صلى الله عليه وسلم، في أوساطها بالذكر المحمود، واقتفاء أثره، والإيمان بدينه، والمحافظة على دوام ذكره صلى الله عليه وسلم، في ركعات الصلاة اليومية وخارج نطاقها على الدوام، وبكل حب وانتماء إليه صلى الله عليه وسلم، على الرغم من مضي مئات القرون على حادثة مطاردته خلال رحلة هجرته وصاحبه، بدين الإسلام، حتى يتاح بلوغه العالمين، فبلغ والحمد الله العرب والعجم، وها هو يشهد المزيد المزيد من الذين يدخلون فيه أفواجاً، رغم حنق الكارهين، وكيد المتآمرين، لأن الله لهم بالمرصاد، وهو القائل سبحانه وتعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ}(12)، يأتي هذا الوعد القاطع من الله لنصرة دينه، إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل، شاء من شاء وأبى من أبى، إذ يقول سبحانه في محكم التنزيل: {وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}. (13)

وحين الوقوف عند هذه التأملات الإيمانية، المستوحاة من معين الهدي القرآني والنبوي، يجد المواطن الفلسطيني القابض على الجمر بلسماً يداوي جراحه، ويسعف نفسه، فلا فرج ولا نصر إلا من الله سبحانه وتعالى، ولن تثني مؤمناً محتسباً صعاب المحن، ولهيب الجمر عن التمسك بيقين الإيمان، والجزم بنيل الفرج بالانتصار، ولو بعد حين من الوقت، فنحن على موعد معه طال الزمان أم قصر، وقد أصاب من قال:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكـارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صغارُهـا وَتَصْغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة التوبة.
2. التوبة: 40.
3. البقرة: 45.
4. البقرة: 153.
5. الأعراف: 128.
6. النمل: 62.
7. يونس: 90.
8. يونس: 91 - 92.
9. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وقال هذا حديث حسن صحيح.
10. آل عمران: 126.
11. الأنفال: 10.
12. التوبة: 32.
13. يونس: 82.

الهجرة النبوية
مرتكزات ودوافع

أ. محمد ذياب أبو صالح ـ دورا

يطل على العالم الإسلامي والبشرية عام هجري جديد، ومن حق هذا الحدث العظيم أن نستثمره لتستفيد منه أمتنا الدروس والعبر؛ لما تعاني منه في هذه الأيام من تكالب معسكر الكفر على الإسلام والمسلمين، متخذين من هذه المناسبة العزيمة والقدرة على تجديد شباب هذه الأمة، التي بدأ يبزغ نورها، كما هو معلوم، في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هذا المنطلق، فإنه لا بد لنا من التوجه صوب المرتكزات والدوافع التي أفرزت هذا الحدث العظيم.

لم تكن هجرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة هزيمة، أو فراراً من ساحة معركة، ولم تكن أيضاً حتمية تاريخية، كما ذكرها بعض المتأخرين.

إن الهجرة ركن أصيل من تاريخ الدعوة الإسلامية، ليعم نور الله هذا الكوكب، بعدما ساده ظلم البشرية، وعبادة الأوثان، وتسلط الدول الكبرى آنذاك؛ كالفرس والروم، على رقاب الشعوب المنكوبة، وقد هيأ الله سبحانه وتعالى لكل أمر سبباً، وهدى نبيه لهذا الأمر {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (1)

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً عبثاً، بل حكمته في خلقه، وسنته في عباده، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (2)

بدأ الإسلام ينمو في مكة، كما تنمو الغراس في منابتها في بيئة خاصة، تعيش فيها، وتتكيف بأجوائها، وهكذا كان المنبت الإسلامي، الذي قويت نباتاته، وأصبحت ذات شوكة ومنعة، وغدت ذات أثر وفعالية.

عاش المسلمون دورهم في مكة، وهم يتحصنون من أذى الأعداء، ويزدادون ثباتاً على إيمانهم، حتى أخذت دعوتهم تزداد ثباتاً وشمولاً، فبدأت تظهر معطيات جديدة على الساحة الداخلية والخارجية، تجاوزت بأفقها أهل مكة، فانضمَّ إلى أتباع هذه الرسالة طوائف مختلفة من فئات متباينة، حتى أقضَّ هذا الأمر مضاجع قريش، وفَلَتَ الزمام من يدها.

الدوافع التي هيأت للهجرة:

لقد كان من أبرز الدوافع التي هيأت للهجرة ما يأتي:

1 - **الحفاظ على عقيدة التوحيد، هذه العقيدة التي ترسخت في نفوس المسلمين**، وبذلوا في سبيلها الغالي والنفيس، فقد كان مفهوماً رائعاً في نفوس المسلمين، يحدوهم حب الخير، والرجوع بالعز والنصر مطمئنين إلى نصر الله وتأييده لهم، لأنهم على طريق الحق سائرون.

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} (3) عمّق القائد العظيم هذا المبدأ في نفوس المسلمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (4).

فالإخلاص لهذه العقيدة سما على كل الاعتبارات الدنيوية، سواء كانت مظاهر عرقية أم طبقية، وسما أيضاً على اللون السياسي والاجتماعي والثقافي، فأصبح المسلمون كالجسد الواحد -يد على من سواهم- يسعى بذمتهم أدناهم.

إن ألوان الأذى والعذاب التي تعرض لها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، رضي الله عنهم، لتنوء بها العصبة أولو القوة.

إذن؛ فما هو الأمر الذي ثبّت المسلمين على مبدئهم، ووطدهم على دينهم، سوى

الإخلاص لهذه العقيدة، وعلى الرغم من الإغراءات والعروض التي قدمتها قريش إلى الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، فلم تثنه عن المضي في طريق الدعوة الصعاب أو الإغراءات، فالعقيدة في الإسلام أساس جوهري، فهي التي دفعت المسلمين للتمسك بالهجرة من مكة إلى الحبشة أولاً، وإلى يثرب ثانياً، والحفاظ عليها.

لقد أوذوا، وحوصروا، وقوطعوا، وشدد عليهم الخناق، وذاقوا من العذاب ألواناً، لكنهم بقوا على عقيدتهم ثابتين، وبمبدئهم متمسكين، ثبت المسلمون الأولون على عقيدتهم، فهاجروا في سبيل الله، تركوا المال والأهل والبلد، ورضوا بحمل هذه الرسالة.

إذن؛ فالعقيدة الصالحة هي التي غرست في نفوس المؤمنين الأولين حب التضحية، وروح الفداء، فجلّهم تعرض للابتلاء، ابتداء بصاحب هذه الدعوة، ومروراً بأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وعثمان وآل ياسر وبلال، رضوان الله عليهم، فلولا التمسك بالعقيدة، والثبات على المبدأ والإخلاص لهذا الدين، لما آن لهؤلاء القوم أن يتركوا ما هم فيه من نعيم، فحقيقة الإيمان ثابتة لدى أصحاب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتطبيق أحكام الشريعة واضح في حياتهم، وقد كان من أبرز مظاهر الهجرة مغادرة الأوطان، والفرار بهذا الدين، حيث إن التمسك بمبدأ الهجرة أمر عظيم، وتضحية جبارة، وحافز قوي للجهر بهذه الدعوة، وتبليغها إلى البشرية جمعاء.

2 - البحث عن بيئة صالحة لنشر الدعوة الإسلامية

توقف المد البشري للدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، فليس من اليسير أن يزيد عدد المسلمين بما يتناسب وزخم الاندفاع الكامل في روح هذه العقيدة، ففتش الرسول العظيم، صلى الله عليه وسلم، عن مواطن أخرى، علّها تكون أكثر خصباً، وأوفر عطاءً، فليس من اليسير أن يدعو إلى هذه الدعوة أهل الحبشة التي هاجر إليها أصحابه في المراحل الأولى.

لماذا؟ لأن الهدف من هذه الهجرة هو الحفاظ على هذا النفر من أذى قريش، فلم يكتب للرسول، صلى الله عليه وسلم، أن ينشر دعوته في الطائف التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكة، فيظل لقريش القيادة والسيادة والهيمنة على أهل الطائف، فلا بد لهذه الدعوة من

مواطن أخرى تتحرك صوبها؛ لتنطلق منها بأسلوب جديد، يحقق لها الهدف الذي رسمت من أجله.

3 - **إضافة إلى من آمن بهذه الدعوة من أهل مكة، فقد دخل في الإسلام أعداد أخرى من أهل يثرب**، فوفدوا إلى الرسول الكريم، معلنين إسلامهم، وقد تجمع لدى هذه الدعوة رصيد جديد، وكان لا بد من تجميع الصفوف، وتوحيد الكلمة.

إنها مواقف رائعة، وصبر وثبات على الشدائد، خلَّدها التاريخ، وما زال المؤمنون بدعوة الإسلام يستلهمون العبر العظيمة من هذه المواقف، يستأنسون بها، ويتحملون المشاق في سبيل الثبات على الحق، والدعوة لدين الله في كل زمان ومكان.

لقد سبق الانتقال من حال إلى أخرى في هذه الهجرة الجسدية تلك الهجرة الروحية، فما أعذب أن يهاجر أهل الشرك والوثنية من أتباع العقائد الفاسدة، والعادات البالية الموروثة إلى رحاب العقيدة الصافية، فقد باع المؤمنون نفوسهم رخيصة في سبيل الله، فهجروا الدنيا ونعيمها، واستعذبوا الأذى والشدة في سبيل رفع راية الإسلام، قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ}.(5)

لقد كانت هجرة المسلمين تلبيةً لوازع الإيمان، وبحثاً عن أرض صالحة للعمل، والتماساً لأسباب العزة والكرامة، فهي أثر واضح من مآثر الإيمان الصادق، وثمرة من ثمار الحرص على العقيدة، مما أذهل عتاة قريش، وأقضّ مضاجعهم حقاً، لقد ضيّق المشركون على المسلمين الخناق، وشددوا عليهم الحصار، فاستخاروا الله في أمرهم، فأخرجهم من بين أيدي هذه الطاغية الغاشمة؛ ليكونوا في جيرة الرحمن.

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} (6)

تهيئة الحياة البيئية في المدينة المنورة لقبول الدعوة الإسلامية:

إن الاختيار الإلهي للمدينة المنورة دار هجرة للمسلمين، كان عطفاً إلهياً، وتوفيقاً ربانياً، إذ هيأ الأسباب، فضمن النتائج، فإذا كانت إرادة الله سبحانه وتعالى في تحقيق هذا الأمر، فلا بد إذن من استعراض للوضع الاجتماعي والديني، الذي كان سائداً في مكة، وما شابه في المدينة المنورة.

عاش رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يدعو أهل مكة قرابة ثلاثة عشر عاماً، فأعلن إسلامه من أعلن، وتمسك بعقيدته، ووقف بها في أحلك الظروف وساعات الابتلاء، وفي المقابل؛ كانت الفئة المغالية في كفرها، المتعنتة في عاداتها وتقاليدها البالية، المتحاملة على هذه الدعوة وأصحابها؛ لأن هذه الدعوة سفهت أحلام قريش، وعابت آلهتهم من أصنام وأوثان؛ لأنها دعت إلى عبادة رب العباد.

كان المجتمع المكي يضم فئتين مختلفتين غير متكافئتين عدداً وعدة، ومختلفتين مبدأً وعقيدة:

1 – المكيين: مجاهرين بعدائهم للإسلام والمسلمين، يقف على رأسهم أعتى عتاة قريش، ممن أخذتهم العزة بالإثم، فلم تلن قلوبهم لعقيدة التوحيد، فوقفوا في طريقها.

2 – المؤمنين الموحدين، المتمسكين بعقيدتهم، المحافظين على دينهم، وجلّهم من الضعفاء والفقراء، ويقف على رأسهم سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، فإذا توقفت عملية المد البشري لهذه الدعوة في هذه البقعة من الأرض، فلا بد لتحريك دواليبها أن تنتقل إلى أرض أكثر خصباً، وأوفر نماءً، وأجزل عطاءً، فلتكن المدينة المنورة.

عرض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بضاعته على غير أهل مكة، عرضها على القبائل الوافدة في مواسم الحج وأسواق العرب، قائلاً: (هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي) (7)

تلقى العديد من يثرب الدعوة الإسلامية بقبول حسن، فبايعوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، على الإسلام، وتعهدوا بأن يطيعوا أوامر الله، ويجتنبوا نواهيه، فلم يكن إسلامهم بنطق الشهادة فقط، بل كان قولاً وعملاً، وسيراً على تعاليمه.

أوفد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أول سفير للإسلام وهو مصعب بن عمير،

يدعو إلى الإسلام في المدينة المنورة، ويعلم الناس القرآن وتعاليم الإسلام، التي تلقاها عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ازداد أتباع الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، فوفد عليه في العام التالي ما يزيد عن السبعين، فأعلنوا إسلامهم، وبايعوه على النصرة.

نشأت في أكناف المدينة المنورة أول قاعدة إسلامية، فكان لابد من القبول بالأمر الجديد، فما برح بيت في المدينة المنورة إلا وفيه للإسلام ذكر وتمجيد.

لقد كانت(القرشية) بما فيها من عنجهية، وسيطرة على مكة ومقدراتها، والبادية والحاضرة المحيطة بها والوافدة إليها، والقبائل العربية عامة صفة بارزة لأهل(أم القرى)، فكانت تعد في نظر العرب بما لديها من أصنام وأوثان، وإشراف على الكعبة وخدماتها، شيئاً عظيماً، فهي كتلة واحدة ذات صبغة موحدة، يعز عليها أن تفارق هذه السيادة، فالسقاية التي تظفر بخيراتها، وتلتهم خيرات الوافدين إليها، لا تتجاوب مع هذا الدين الجديد، وصاحبه الذي سفّه أحلامهم، وعاب آلهتهم.

إضافة إلى ما كانت تتمتع به قريش من ثراء وجاه بين القبائل العربية؛ لأنهم ألفوا التجارة، ونهبوا خيرات القبائل المجاورة لهم.

المجتمع المدني:

أما المجتمع المدني (أهل يثرب)، فقد كان على خلاف واضح مع المجتمع المكي، فالتركيب الاجتماعي في المدينة المنورة يتكون من مشركين ويهود، أما المشركون العرب؛ فهم قبيلتان (الأوس والخزرج)، وهاتان القبيلتان أقارب وفدتا إلى المدينة من الجنوب، وأما اليهود؛ فقد وفدوا إليها من الشمال، فاختاروا يثرب موطناً لهم؛ ليقطعوا الطريق على النبي المنتظر، لأن ذكره ورد عندهم في التوراة بأنه سيكون من العرب نبي، وأن موطن رسالته يثرب، فلا بد إذن من استيطانها قبل نشر دعوته، فتغطي على شريعتهم.

كانت العداوة مستحكمة بين الأوس والخزرج، وطال أمد الحروب بينهما، فتمنى كلا الفريقين أن تكون للحرب نهاية، فهيأ الله الأسباب حتى يكون الأمر إليه، فلا بد من

منقذ يجمعون عليه، فتحقق لهم ذلك في شخص هذا الرسول العظيم، صلى الله عليه وسلم، الذي التقت عنده رغباتهم.

كان لهاتين القبيلتين إمكانية لقبول مبدأ التوحيد، لاسيما أنهما كانتا مجاورتين لليهود، الذين كانوا يستفتحون عليهم بنبي من العرب، وأنهم سيقاتلون معه، وهم يعرفون موضع رسالته وأوصافه، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (8)

فلما سمع أهل يثرب بهذا النبي، أيقنوا أنه النبي المنتظر، فطاروا إليه في أكناف مكة، وبايعوه على النصرة.

خبر المسلمون الهجرة إلى الحبشة سابقاً، وهي المنفذ الغربي لأهل مكة، فتوافرت لهم فيها حسن الإقامة، والرفد عند النجاشي، مما كان له الأثر الطيب في نفوس المسلمين.

شاءت إرادة الله أن يتوجه المسلمون إلى المنفذ الشمالي لأهل مكة، أي إلى يثرب، التي تتحكم باقتصاد مكة عن طريق الشام، فهي تعد بحق الشريان الرئيس للإمدادات التموينية لأهل مكة، فإذا فتح الله على المسلمين، وزاد عددهم، وقويت شوكتهم، أصبحوا على أهبة الاستعداد لإعلان الجهاد والتضييق على قريش، كما ضيقت عليهم في مكة وحاصرتهم.

إذن؛ فإمكانية قبول أهل يثرب لمبدأ التوحيد واردة، حيث إنهم مادة خام يعبدون الأوثان، وأما أهل الحبشة؛ فقد كانوا نصارى على المذهب اليعقوبي، فكان هذا من أسرار نجاح الدعوة الإسلامية بوقت قياسي وقصير؛ لأن نفوس أهل يثرب وقلوبهم أصبح لديها القبول بهذا الدين، إضافة إلى ذلك، فإن للرسول، صلى الله عليه وسلم، قرابةً ونسباً في المدينة، فلا بد إذن من توافر المساعدة له، علماً بأنها فشلت لدى أهل مكة العتاة، فإرادة الله سبحانه وتعالى، وتهيئة جميع هذه الأسباب، وإصدار الأمر الإلهي للرسول الكريم بتوجيهه لأصحابه قائلاً لهم: (تفرقوا في الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم).(9)

إن عمق هذا التوجه، وإيحاءه إلى المسلمين، كان له عمق عظيم في النفوس، ومخرجٌ شرعيٌ بإعطاء الرسول، صلى الله عليه وسلم، الأمر الإلهي في التوجه إلى المدينة المنورة.

لقد كان توجيهاً إلهياً سامياً، وترتيباً موفقاً، عندما شكل جماعة النقباء، فأسس بذلك القيادات المسؤولة في المدينة، فهيأت بذلك جميع أسباب النجاح، وكل فرد من المسلمين يتحين ساعة الصفر للإذن بالهجرة.

لقد فتحت قلوب المؤمنين المدنيين للمهاجرين من المسلمين قبل أن تفتح المدينة المنورة أبوابها إليهم، ففرشت الأرض محبة وسروراً، فلا أدل على ذلك من روعة الانتظار للرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وروعة الاستقبال له عندما وطئت قدماه الشريفتان ثرى المدينة المنورة، فهؤلاء القوم، هم الذين طاروا إليه يبايعونه في مكة على الدين والنصرة، لم يكن قبول أهل المدينة المنورة بالدعوة الإسلامية تنسيقاً لأطماع آنية، أو تجسيداً لأحلام دنيوية، بل أسند إلى أصحاب هذه الدعوة من أهل المدينة مهمة شاقة، تلت الإيمان بالدعوة الإسلامية، ألا وهي مهمة الجهاد في سبيل الله لإعلان كلمة الله في الأرض، ومناجزة أهل الكفر.

الهوامش

1. الطلاق: 3.
2. الصف: 8.
3. الذاريات: 56.
4. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى.
5. التوبة: 111.
6. النساء: 75.
7. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، رضي الله عنه.
8. البقرة: 146.
9. الدرر لابن عبد البر، ص48.

التأريخ الهجري

من مظاهر تميز الأمة

د. ياسر حماد / مدير دائرة البحوث

بُني كثير من الأحكام الشرعية على مخالفة المشركين، وذلك لإظهار استقلالية الأمة الإسلامية، وتميزها عن غيرها من الأمم؛ فهي خير أمة أخرجت للناس؛ قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(1)، ومن هذه الأحكام التي تميزت بها الأمة؛ حف الشوارب، وإعفاء اللحية؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، عَنْ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ) (2)، ودعا، صلى الله عليه وسلم، الأمة إلى الصبغ، وتغيير الشيب(3)، وعدم اتخاذ المساجد مقابر مخالفة لليهود والنصارى (4)، وفي صوم يوم عاشوراء، قال، صلى الله عليه وسلم: (لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ)(5)، وذلك إمعاناً في مخالفة اليهود؛ فلم يقصر صومه على اليوم العاشر، بل زاد عليه يوماً، وكذا أمر بالصلاة في الحذاء مخالفة لهم. (6)

ومن صور تميز هذه الأمة، حفاظها على تاريخها وتأريخها؛ فما الفرق بين التاريخ والتأريخ؟

معنى التأريخ: قال ابن منظور: (أرّخَ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ الكتاب ليوم كذا: وَقَّتَه... وتأريخ المسلمين: أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكتب في خلافة عمر، رضي الله عنه، فصار تأريخاً إلى اليوم) (7).

أما تعريف كلمة التاريخ في الاصطلاح، فقد ورد في المعجم الوسيط: (التاريخ: جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية... والتأريخ تسجيل هذه الأحوال) (8)، ويظهر من هذه التعريفات الفرق بين التأريخ والتاريخ، فالتاريخ، علم يشمل أبرز الأحداث، والتأريخ هو يوم معين تنسب إليه سائر الأحداث، والمؤرخ به عند الأمة الإسلامية كما سيأتي ذكره هو الهجرة النبوية.

ما الفرق بين التأريخ والتقويم؟

يظن بعضهم أن التأريخ هو التقويم، وقد يلفظ التأريخ ويراد به التقويم، وكذا العكس، وعند التأمل نجد الاختلاف الدقيق بينهما؛ فالتقويم لغة بمعنى تصحيح الخطأ، أو الاعوجاج، واصطلاحاً: تنظيم لقياس الزمن الذي يعتمد على ظواهر طبيعية متكررة مثل دورتي الشمس أو الأرض والقمر (9)، وهو في الشهور الشمسية ثابت لا يتغير؛ مثل ربط بدء الدراسة سنوياً بأول يوم من برج الميزان؛ فهذا يسمى تقويماً، وهو خاص بتلك السنة، ومثله التقويم الدهري لأوقات الصلاة (10)، أما التأريخ فهو: وعاء لأحداث الأمة يساير أيامها، ويربط أجيالها ببعضهم بعضاً، ويوثق حاضرها وماضيها، وإن كان التقويم مضافاً إلى الهجرة أو الميلاد؛ يستخدم عند بعضهم بمعنى التأريخ، فتجد من يقول: التقويم الهجري؛ والمقصود هو التأريخ الهجري. (11)

التأريخ الهجري والتأريخ الميلادي:

كان التأريخ الميلادي معروفاً عند الرومان منذ (750) سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام (12)، وكان هذا التقويم قمرياً، حيث تتألف السنة فيه من عشرة أشهر فقط؛ حتى جاء ملك روما (توما الثاني 673-716 ق.م) الذي أضاف شهري يناير وفبراير، وأصبحت السنة تتألف من 355 يوماً، وفي سنة (46) قبل الميلاد استدعى الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر؛ الفلكي المنجم المصري سوريجين من الإسكندرية؛ طالباً منه وضع تأريخ حسابي، يعتمد عليه، ويؤرخ به، فاستجاب الفلكي المصري، ووضع تأريخاً مستنداً إلى السنة الشمسية.

وبالتالي تحول الرومانيون من العمل بالتقويم القمري إلى التقويم الشمسي، وسمي هذا التأريخ بالتأريخ اليولياني؛ نسبة إلى الإمبراطور يوليوس قيصر، وبقي هذا التأريخ معمولاً به في أوروبا وبعض الأمم الأخرى قبل ميلاد المسيح، عليه السلام، وبعده، واستمر النصارى على العمل بالتقويم الشمسي دون ربطه بالتأريخ الميلادي حتى القرن السادس؛ أو القرن الثامن من الميلاد؛ حيث تم الحساب، ورجع بالتقويم الشمسي لتكون بداية التأريخ النصراني من أول السنة الميلادية، نسبة إلى ميلاد المسيح عيسى، عليه السلام، وعندها عرف هذا التأريخ بالتأريخ الميلادي.

ونخلص من هذا بأن الميلاد الحقيقي للمسيح، عليه السلام، سابق لبدء التأريخ الميلادي بقرون عديدة؛ لذا ينبغي التمييز بين التأريخ الميلادي، وميلاد المسيح، عليه السلام، لأن اصطلاح قبل الميلاد أو بعده تأريخياً لا يشير بدقة إلى ميلاد المسيح، عليه السلام، فعلياً (13)، وقد استمر العمل بهذا التأريخ إلى عهد بابا النصارى (جوريجوري الثالث عشر)؛ الذي قام بإجراء تعديلات على التأريخ اليولياني؛ لتلافي الخطأ الواقع

فيه؛ وهو عدم مطابقة السنة الحسابية على السنة الفعلية للشمس؛ مما أدى إلى وجود فرق سنوي قدره إحدى عشرة دقيقة بين الحساب والواقع الفعلي، فقام البابا بإصلاح هذا الفرق، وسمي هذا التعديل بالتأريخ الجوريجوري، وانتشر العمل به في غالب الدول النصرانية (14)، والتأريخ الميلادي حالياً هو التأريخ الجوريجوري.

نشأة التقويم الهجري:

التقويم العربي قبل الميلاد:

كان العرب في الجزيرة العربية يتبعون الحساب القمري، ويعتمدون في ذلك على الرؤية البصرية للهلال؛ ابتداء من مشاهدته لأول مرة في الشهر، إلى مشاهدته ثانية في بداية الشهر التالي، وعدة الشهور عندهم 12 شهراً، فقد كانوا على بقية من شريعة إبراهيم، عليه السلام، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}. (15)

الأشهر في التقويم الهجري:

استخدم العرب قبل الإسلام أسماء معينة للأشهر القمرية، إلى أن تغيرت تلك الأسماء لتأخذ صورتها المعروفة حالياً:

1. محرّم: (محرّم الحرّام) سمي المحرّم؛ لأن العرب قبل الإسلام كان يحرّمون القتال فيه.
2. صفر: سمي صفراً؛ لأن ديار العرب كانت تصفر؛ أي تخلو من أهلها للحرب.
3. ربيع الأول: سمي بذلك؛ لأن تسميته جاءت في الربيع؛ فهو شهر العشب والخضار والمطر.
4. ربيع الثاني: سمي بذلك؛ لأن العرب كانوا يرتبعون فيه؛ أي لرعيهم فيه العشب فسمي ربيعاً.

5. جمادى الأولى: وسمي جمادى لوقوعه في الشتاء، حيث يجمد الماء.

6. جمادى الآخرة: سمي بذلك؛ لأن تسميته جاءت في الشتاء أيضًا؛ فلزمه ذلك الاسم.

7. رجب: سمي رجباً لترجيبهم الرّماح من الأسنة؛ لأنها تنزع منها فلا يقاتلون.

8. شعبان: لأنه شعب بين رجب ورمضان، وقيل: يتفرق الناس فيه ويتشعبون طلباً للماء.

9. رمضان: سُمّي بذلك لرموض الحر، وشدة وقع الشمس فيه وقت تسميته.

10. شوال: لشولان النوق فيه بأذنابها إذا حملت، أي نقصت، وجف لبنها.

11. ذو القعدة: سمي (ذو القعدة) لقعودهم في رحالهم عن الغزو والترحال؛ فلا يطلبون كلأً ولا ميرة.

12. ذو الحجة: سمي بذلك لأن العرب تذهب للحج في هذا الشهر. (16)

ظلت قريش تؤرخ بعام الفيل، وكان المسلمون يؤرخون به معهم قبل الهجرة؛ فلما هاجر النبي، صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى المدينة، ترك المسلمون التأريخ بعام الفيل، وسموا كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص؛ مما اتفق في تلك السنة: السنة الأولى: الأذان، والثانية: الأمر، والثالثة: التمحيص، والرابعة: الترفئة، والخامسة: الزلزال، والسادسة: الاستئناس، والسابعة: الاستغلاب، والثامنة: الاستواء، والتاسعة: البراءة، والعاشرة: الوداع، ثم بعد ذلك سار التأريخ أحياناً بالأسلوب نفسه حتى السنة السابعة عشرة للهجرة؛ وهي السنة التي أسس فيها التقويم الهجري الذي نؤرخ به اليوم. (17)

سبب وضع التأريخ الهجري:

يروى أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم: أرخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها، وذلك سنة سبع عشرة، فلما اتفقوا، قالوا: ابدأوا برمضان، فقال عمر: بل بالمحرم؛ فإنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه (18).

الفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية:

ترتبط بعض العبادات بتوقيت الشّمس؛ لكن ذلك في أمور فطرية، كبزوغ الفجر، وزوال الشمس وغروبها، وزوال الشفق الأحمر؛ فهذه مواقيت الصلاة يستوي فيها ويعرفها كل من وجبت عليه الصلاة؛ بدون توقّف على الحساب والعلم الخاص، وأما باقي المواقيت فقد ربطها بالقمر.

اليوم الشمسي واليوم القمري:

اليوم في التقويم الهجري يبدأ بغروب الشمس، وينتهي بغروب الشمس الذي يليه، وأما اليوم في التقويم الشمسي (يوليوسي، جريجوري)، فإنه يبدأ منتصف الليل، وينتهي عند منتصف الليل الذي يليه، وعليه؛ فإن رمضان على سبيل المثال يبدأ بعد غروب شمس اليوم الأخير من شعبان؛ فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الهِلالَ، وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ، فَاقْدُرُوا لَهُ) (19)، وجه الدلالة: أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، جعل انتهاء شهر شعبان ودخول رمضان برؤية الهلال، ويقاس عليها بقية الأشهر، وهذا من رحمة الله وفضله؛ إذ لو كان رمضان مرتبطاً بالشمس؛ وصادف أن يأتي صيفاً أو شتاءً؛ لشق ذلك على الخلق، فكان أن ارتبط بالقمر، فجعل يدور على بقية الفصول.

السنة القمرية:

ترتبط بدورة القمر حول الأرض؛ ووفق حركة القمر تحصل الشهور، وكل دورة للقمر حول الأرض تمثل شهراً قمرياً؛ وتبلغ مدته 29.25 يوماً تقريباً، وعلى هذا الأساس فإن السنة القمرية تكون 354.36 يوماً، أي أنه أقل من عدد أيام السنة الشمسية

بـ(10.88) (20)، وفي المقابل؛ فإن السنة الشمسية ترتبط بحالة الشمس، وهي مأخوذة من دورة الأرض حول الشمس، وتنقسم السنة الشمسية إلى الفصول الأربعة المعروفة؛ وهي الدورة السنوية، ومدة هذه السنة 365.25 يوماً تقريباً.

حكم استعمال التأريخ غير الهجري:

إن الأصل هو العمل بالتقويم القمري المتمثل بالتأريخ الهجري، وهذا الحكم يشمل جميع الأفراد، والدول الإسلامية، ولكن لا مانع من الاستفادة من التقويم الشمسي؛ المتمثل بالتأريخ الميلادي؛ بصفته تقويماً مساعداً للتقويم القمري تابعاً له؛ متى وجد مقتضى لذلك تتحقق فيه مصلحة راجحة، ولا عيب أن نأخذ، لا أن نستبدل، من مواقيت الأمم ما يفيدنا في بعض الحالات؛ فيما لا يتعارض مع أمر من أمور الدنيا(21)، ولذا فإن وضع التقويم الشمسي المتمثل بالتأريخ الميلادي شعاراً للبلد، والاعتداد به في احتساب المواقيت والأحوال؛ هو تشبه صريح بالنصارى، وجاءت النصوص الشرعية التي تحرم ذلك، ويدل على هذا قوله، صلى الله عليه وسلم، فيما روي عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ)(22) ويتضمن الحديث التشبه بسمات الكفار، وعاداتهم، وتقاليدهم، وأزيائهم، وكل ما هو من خصائصهم، ولا شك في أن اعتبار الأصل هو: استخدام التأريخ الميلادي، يدخل في سمات الكفار(23)، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (لا يجوز للمسلمين التأريخ بالميلادي؛ لأنه تشبه بالنصارى، ومن شعائر دينهم، وعند المسلمين، والحمد لله، تأريخ يغنيهم عنه، ويربطهم بنبيهم محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو شرف عظيم لهم، وإذا دعت الحاجة يجمع بينهما، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم) (24)، وأما بالنسبة إلى من كان يعيش في دولة

نظامها يأخذ بالتأريخ الميلادي، فإن كان النظام يسمح بوضع التأريخ الهجري مع التأريخ الميلادي، فيجب على الأفراد الإشارة إلى التأريخ الهجري في المكاتبات والإجراءات متى استطاعوا ذلك، لأن هذا يحافظ على بقاء التأريخ الهجري شعاراً للأمة الإسلامية، ويخفف من المفسدة الواقعة بالأخذ بالتأريخ الميلادي، والقاعدة الشرعية تنص على أنه إذا لم يمكن قطع المفسدة جملة بأسبابها ودواعيها، فإن التقليل من آثارها، والحد من استشرائها وانتشارها مطلوب، وهو من مقاصد الشرع المطهر. (25)

حكم استعمال التأريخ غير الهجري في المعاملات:

ذهب الجمهور إلى أن المتعاقدين إذا استعملا التأريخ غير الهجري في المعاملات، تنتفي الجهالة، ويصح العقد؛ إذا كان ذلك التأريخ معلوماً عند المسلمين.

الخلاصة: بعد كل هذا يتضح لنا أن التأريخ الميلادي نتاج عمل بشري خالص، يتسم بالقصور، نشأ في بيئة رومانية، وحضانة نصرانية، وبرعاية القياصرة، وتعديلات البابوات، والرهبان، ولم يعرف إلا بعد ميلاد السيد المسيح، عليه السلام، بقرون متعددة، ولم يُبْنَ على مولده بيقين؛ أما العمل بالتأريخ الهجري، فهو امتثال لأمر الله تعالى وأمر رسوله، صلى الله عليه وسلم، وإجماع الصحابة، رضوان الله عليهم؛ فعلينا التمسك به، والعمل بمقتضاه؛ لأنه صورة من صور تميز الأمة، واعتزازها بماضيها.

الهوامش

1. آل عمرن: 110.
2. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار.
3. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.
4. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة.
5. صحيح مسلم، كتاب الصِّيَام، باب أي يوم يصام في عاشوراء.
6. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل.

7. لسان العرب، 3/ 4، مادة: أرخ.

8. المعجم الوسيط، 1 /13.

9. انظر الموسوعة العربية الميسرة، 1 /539.

10. لقد أعد هذا التقويم جملة من خبراء الشريعة والفلك في المملكة الأردنية الهاشمية، وجُرِّب قبل العمل به حتى تم التأكد من صحته.

11. انظر المرجع السابق، ص 19 – 20.

12. المرجع السابق، ص29.

13. انظرالتوقيت والتقويم، ص109.

14. التأريخ الهجري، 32.

15. التوبة: 36.

16. انظر الملتقى الطبي السوري: http://www.syrianmeds.net/topic/3181-%D9%82%D8%B5%D8%A9، أخوات على طريق الإسلام: http://akhawat.islamway.com/forum/index.php?showtopic=72424.

17. المقال السابق في الملتقى الطبي السوري.

18. الأوائل للعسكري،1/ 41، فتح الباري،7 /268 ط، والكامل لابن الأثير، 1 /9، والإعلان للسخاوي، ص140 – 141.

19. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا.

20. مقال لمحمد يوسف جبارين من موقع دنيا الرأي: Donia Al-Raai, Palestine – email: pulpit.alwatanvoice@gmail.com

21. انظر التأريخ الهجري، 61 – 63 بتصرف.

22. سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، وقال الألباني: حسن صحيح.

23. كلام للشيخ صالح الفوزان موجود في كتاب المنتقى من فتاوى الفوزان برقم (153).

24. فتاوى اللجنة الدائمة، 26 /399.

25. أحكام وفتاوى الزكاة لعام 1423هـ الصادر من بيت الزكاة في الكويت.

ملامح من سيرة محمد صلى الله عليه وسلم

أ. محمود حافظ إسماعيل

أين وارف الظلال من جنة النضال؟ أين تسرح العين لتروي لأهل الجلاد، لرواد الجهاد معالم الكفاح الخالد؟ أين في رياض السيرة العطرة تجول الأفهام لتروي للزمان بطولات محمد، صلى الله عليه وسلم؟ إنه عالم كامل، إنه قصة مثيرة امتدت روايتها ثلاثاً وستين سنة، وسرت أصداؤها مدى الأيام... إنسانية زاخرة بالرفيع السامي من المثل الزاهرة... إنه مزيج نوراني من القوة وهي حق، ومن الضعف وهو رحمة، ومن المروءة وهي بر ونخوة، ومن الصمت وهو حزم وعزم، ومن الحديث وهو قطع من الروض، وشفاء للقلب.

يتيم تتقاضاه الليالي لوعات الحنين إلى الأبوة والأمومة.

عفيف أمين، تتحسر الشهوات واللذات دون مساس نفسه الطاهرة.

صامت حيي تتحطم أعناق اللجاجات دون عمل فكره المتزن الهادئ.

سارح الفكر في أجواء الكون، ساخر من كل صنم، باحث عن محيا الحقيقة الباهرة وكانت الرسالة الكبرى، وكان شعوره بها على قدر الأثر الهائل الذي خلفته في الوجود،

وكان في ملامح هذا الكفاح الذي أنشأه أعاجيب ظلت حديث الزمان.

ساخر من الأصنام، ولكنها سخرية لا تعرف الأذى، سخرية لا يداخلها الحقد، ولا الغيظ، ولا التشفي، سخرية لم تخالطها العنجهية، ولا التهويل، ولا السرف، سخرية لم يشهد التاريخ مثلها في البناء والإنشاء، سخرية لا تجد في نسيجها إلا الإصلاح، ولا تعرف بين ثناياها غير الإشفاق الصافي، والإخلاص الكامل للخير والعافية.

داع إلى الله سبحانه في إلحاح لا يعرف الغلظة، وإصرار لا ترقى إليه الرعونة، ودأب لم يعرف الملالة، ومجاملة تنبثق من خلق سام عظيم.

صلب كالقدر الذي لا يتحول، كالإعصار الذي لا يهدأ... يجتمع السادة من قريش يجرجرون مطارف الكبر والخيلاء، ولكنهم عند محمد يصطنعون المداهنة والتواضع، ويتكلمون ويفيضون في دعوى التوفيق والمصالحة، ومحمد صامت حتى إذا انتهوا تلا عليهم سورة فصلت صادعة كالشهاب الثاقب بمبدأ الإسلام.

وتهاوت صخرات من قريش، ولم تتزحزح صخرة العقيدة التي يدعو لها محمد، صلى الله عليه وسلم، قيد شعرة، ولا انتقص منها مثقال ذرة.

صبور في مجالات القول والعمل، في الجوع والشبع، والراحة والسهر، والضعف والقوة، والنجاح والفشل، وفي العافية والمرض... صبور لم تعرف الأرض أصبر منه، ولم تلد أنثى على العاديات صامداً مثله، أعيته سنون على ترقب وتريث ومناضلة مستميتة بطيئة النتائج... فمد حبل الأمل إلى الطائف، فتنكرت وجهلت وطاردته في هاجرة قائظة وهو جائع مجهد، وأدمى الصبية عاقبيه، فكان رد الفعل دعاءً معجزاً، فلا والله ما انفرجت شفتا آدمي من يوم كانت الحياة عن دعاء أصدق عاطفة، ولا أسمى تسامحاً، ولا أروع دلالة على الثقة العميقة من ذلك الدعاء الخالد.

ليت شعري؛ هل اتسعت مجالات القيادة المكافحة مدى أربعة عشر قرناً بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، فاحتاجت خطة سامية لم يرسمها لها محمد بكفاحه وجلاده! لقد علّم المساكين والمضطهدين واللاجئين، والمعذبين في الأرض، والمشردين والمحاويج، علّمهم جميعاً كيف ينتصرون، ولن ينتصروا إلا بما علمهم محمد، صلى الله عليه وسلم، القائد الذي نقى الضمائر، ووحد المشاعر، وسخر الإمكانات بالحق والإنصاف، وأوضح لكل ذهن طريقة العمل، بعد أن جمع العقول على عقيدة واضحة، فلما استكمل كل شيء توجه بالدعاء، وتوقع النصر عندما استنفذ أقصى طاقة العمل.

النصر الذي يميل الرؤوس، ويلوي الأعناق ... النصر الذي عصر قلب الإسكندر ثملاً وعربدة، وملأ ضمير قيصر تكبراً وصلفاً، وأطلق زمام نابليون استخفافاً وفسوقاً، النصر الذي ما زال شرَّ سيدٍ للفاتحين والمتوسعين والجبارين، صار في يدي محمد، صلى الله عليه وسلم، أحسن خادم مطواع، لترقيق القلوب القاسية، وبث أسمى مبادئ التسامح والرحمة والعفو.

ومعارك السلم التي يخوضها محمد، صلى الله عليه وسلم، تغاضٍ عن أهل الوقيعة والنفاق ومرضى النفوس، تغاضٍ حتى تستطيع آخر نفس يمكن أن ينتصر فيها آخر الأمر داعي الخير بالمثل الصالح المتكرر وجو الفضيلة والرسالة.

تلكم بعض ملامح أحفل حياة بالموعظة الحسنة وأعظم مخلوق، وأكرم خلق، تلكم ملامح قليلة من السيرة العطرة التي سيظل في الدنيا بقية خير وأمل ما ظل فيها من آمن بالقرآن الذي أنزل على محمد، صلى الله عليه وسلم، واتبع سنن صاحب الرسالة التي بلغها محمد، صلى الله عليه وسلم.

يا أولي الألباب الذين خاطبهم الله تعالى:

هل عرف العالم شريعة حققت تحقيقاً عملياً تسوية مطلقة في الحقوق والواجبات، في الكرامة ومجالات نشاط الآدميين، بين الأسود والأبيض، وبين العربي والعجمي، هل عرفتم غير ما أنزل على محمد وحققه كفاح محمد، صلى الله عليه وسلم.

يا أولي الألباب الذين خاطبهم الله تعالى:

ثباتاً كما ثبت قلب الرسول، صلى الله عليه وسلم، و(عمّار) تحت أثقال الصخر في الهاجرة، ثباتاً في المحن كما ثبت قلب الرسول، صلى الله عليه وسلم، ونظراته تقوي أوتار حنجرة بلال، وهو يصيح من العذاب: (أحد ...أحد)

ثباتاً كما ثبت الرسول، صلى الله عليه وسلم، في أحد والأحزاب.

ثباتاً لا ترعكم عطعطة الباطل، ولا يغرنكم تقلب الذين كفروا في البلاد.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} (البقرة: 214).

اللهم عظنا عظة حقة بكفاح رسولك سيد البشر، وصلوات الله على سيدنا محمد صلوات خالدة.

ملف العدد

الهجرة النبوية انطلاق والتقاء ومودة وإخاء

د. شفيق عياش/ جامعة القدس

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خير رسله وأنبيائه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد كانت هجرة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة نقطة تحول، وانطلاق من عالم الجبروت والطغيان والقوة الغاشمة إلى النور، والحب، والمؤاخاة، فقد لاقى صلوات الله وسلامه عليه وصحابته الغر الميامين في مكة كل أنواع العذاب من قومه وعشيرته، فلم يجد أذاناً صاغية لدعوته، بل وجد السخرية، والتهكم، والجحود والنكران.

لقد تحالفت قوى الشر والطغيان على إحباط هذا الأمر ومحاربته بكل الوسائل الخبيثة وشتى الطرق الملتوية، فأخذوا يكيدون للرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو صابر لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يثنيه عن عزمه ونشر دعوته الجبابرة العتاة، الذين قست قلوبهم، وتبلدت مشاعرهم، وأصبح الشر ديدنهم، يمتزج بدمائهم، وباتت مكة بأسرها تموج بالحقد والكراهية بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، واجتمع رأي القوم على قتل محمد، صلى الله عليه وسلم، بأيدي صبيانهم وفتيانهم الأشداء، على

أن يختاروا من بينهم أقوى الشباب ليضربوا محمداً، صلى الله عليه وسلم، ضربة رجل واحد؛ حتى يتفرق دمه وتضيع المسؤولية في مكة، ولكن الله سبحانه وتعالى أحبط كيدهم ومكرهم، حيث قال سبحانه وتعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (1).

وردَّ سبحانه وتعالى غيظهم وكيدهم في نحورهم، فأوصى رسوله الكريم بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة، وهنا تظهر صورة رائعة للتضحية والفداء، ذلك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، طلب من ابن عمه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن ينام في فراشه؛ كي يشعر القوم أنه ما زال في الفراش، ونام علي، كرم الله وجهه، في فراش النبي، صلى الله عليه وسلم، معرضاً نفسه للخطر، ومقدماً روحه فداء لرسول الإنسانية سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وحمل كفّاً من تراب، وخرج على القوم المترصدين بالباب، ثم نثر التراب في وجوههم وعلى رؤوسهم، وهو يتلو قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ} (2)، فمر من أمامهم، ولم يره أحد منهم، وقد أخذتهم غشية لم يستفيقوا منها حتى الصباح، فخرج الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبصحبته الصديق أبو بكر، رضي الله عنه، وانطلقا إلى يثرب، وهناك استقبله أهلها استقبالاً يليق بجلال النبوة، وعظمة الرسالة والرسول، فكانوا به كرماء، ولدعوته مخلصين، يذودون عنها بأموالهم وأنفسهم وكل ما يملكون.

هناك على أرض المدينة المنورة التقت تلك القلوب المؤمنة التي تعاهدت على حب الله سبحانه وتعالى، وحب رسوله الأمين، صلى الله عليه وسلم، تلك القلوب التي عاهدته على النصرة والجهاد في سبيل الله، وتبليغ رسالته إلى الناس قاطبة في كل مكان، فالكل يتسابقون إلى تقديم كل غال ونفيس، ولا أعتقد أن هناك إنساناً أعظم، ولا أنبل من رجل بمحض إرادته أن يتنازل عن نصف ما يملك، من دار، وعقار، ومال، وزوجة

لأخيه المهاجر، فهذا بلا أدنى شك قمة الجود والعطاء والسخاء، وأرقى درجات الإيمان والكمال النفسي، الذي جاء نتيجة للاندماج الروحي، والائتلاف القلبي بين صحابته، رضي الله عنهم، وصدق قول الله سبحانه وتعالى فيهم: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} (3).

وبهذا أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دعائم المجتمع المدني على أسس أخوية إيمانية، وجعل أهل المدينة المهاجرين والأنصار قوة، وأمة حملت لواء الدعوة الإسلامية، وجاهدت في الله حق الجهاد، بعد أن توحدت كلمتها، وأصبحت على قلب رجل واحد، حتى انتشر دين الله سبحانه في كل مكان.

وهكذا كانت الهجرة النبوية الشريفة نصراً مؤزراً للإسلام، وفتحاً مبيناً على المسلمين، وتحولاً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية، وانتقالها من طور الضعف إلى طور القوة والمبادرة والعزة والسؤدد.

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: {إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (4).

الهوامش

1. الأنفال: 30.

2. يس: 9.

3. الحشر: 9.

4. التوبة: 40.

فضائل الهجرة في سبيل اللّه

أ. لبيب طه / وزارة المالية

يرتبط موضوع الهجرة بشكل وثيق بوجود الحق وأهله، وما دام الصراع مستمراً بين الحق وأهله، وبين الباطل وحزبه؛ فإن الهجرة باقية ببقاء هذا الصراع.

الهجرة من سنن المصطفى، صلى الله عليه وسلم، بل هي من سنن الأنبياء قبله، قال تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (1)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ). (2)

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر كثير من فضائل الهجرة في سبيل الله، نذكر منها:

* المهاجرون يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته، حيث يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(3)

وقد قال قتادة في تفسير هذه الآية عن المهاجرين: (هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رجا طلب، ومن خاف هرب).(4)

* كما أن فضل الهجرة يشمل المهاجرين والمهاجرات، فقد روي عن أم سلمة زوج

النبي، صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: (يا رسول الله؛ لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء)(5)، فأنزل الله تبارك وتعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} (6)

* كما أن من لم يهاجر ويلتحق بركب المسلمين، لا تقبل معذرتهم يوم القيامة، حيث يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.(7)

وقد ذكر أن هاتين الآيتين، وما بعدهما نزلت في أقوام من أهل مكة، كانوا قد أسلموا وآمنوا بالله ورسوله، وتخلفوا عن الهجرة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين هاجر، وعرض بعضهم على الفتنة فافتتن، وشهد مع المشركين حرب المسلمين، فأبى الله قبول معذرتهم التي اعتذروا بها.(8)

* كما أن في الهجرة في سبيل الله غلبة للمشركين على مرادهم، حيث يقول الله تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.(9)

وفي تفسير المراغم يقول القرطبي: (المراغم موضع المراغمة، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه على مراده، فكأن كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجر، لأرغم أنوف قريش لحصوله في منعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغمة).(10)

*كما أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض، وأعوان على من سواهم من المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض من دون أقربائهم الكفار(11)، حيث يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(12)، وقال تعالى تأكيداً على أن الولاية لا تكون إلا لمن يهاجر في سبيل الله: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِياً وَلا نَصِيرًا}.(13)

* كما أن من آووا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين معه، ونصروهم، ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقاً، لا من آمن، ولم يهاجر دار الشرك، وأقام بين أظهر أهل الشرك، ولم يغز مع المسلمين عدوهم(14)، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.(15)

* كما أن الهجرة والجهاد هما مما يجعل المؤمن يحصل على أعظم الدرجات عند الله تعالى، حيث يقول سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}.(16)

وهذا قضاء من الله، بيّن فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية، والآخر بالسدانة، والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله. (17)

* والهجرة تنزل صاحبها في الدنيا مسكناً يرضونه صالحاً، حيث يقول تعالى: {وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.(18)

ورد عن قتادة في تفسير هذه الآية: أن أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك، فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين.(19)

* كما أن الله سبحانه وتعالى وعد المهاجرين بالرزق الحسن في جناته، والمقصود هنا هو الثواب الجزيل، حيث يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}. (20)

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله، فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت، وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله، والمقتول فيها في الثواب عنده.(21)

* كما أن الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بالصفح عن بعض المؤمنين ومنهم المهاجرين، حيث يقول: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(22)

وهذه الآية نزلت في الصديق، رضي الله عنه، حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً، بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه، شرع الله تبارك وتعالى وله الفضل والمنة، بعطف الصديق على

قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خال الصديق، وكان مسكيناً، لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق، رضي الله عنه، معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: {أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله؛ إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق، رضي الله عنه، وعن ابنته. (23)

* كما جعل الله سبحانه وتعالى نصيباً لفقراء المهاجرين من الفيء والغنائم، حيث يقول تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (24)

الهوامش

1. العنكبوت: 26.

2. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام، وضعفه الألباني.

3. البقرة: 218.

4. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص484.

5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء الرابع من المجلد الثالث، ص 284.

6. آل عمران: 195.

7. النساء: 97.

8. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء الخامس من المجلد الرابع، ص 316.

9. النساء: 100.

10. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد الثالث، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 298.

11. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء العاشر من المجلد السادس، ص 67.

12. الأنفال: 72.

13. النساء: 89.

14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء العاشر من المجلد السادس، ص 73 – 74.

15. الأنفال: 74.

16. التوبة: 20.

17. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء العاشر من المجلد السادس، ص 215.

18. النحل: 41.

19. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء الرابع عشر من المجلد الثامن، ص 142.

20. الحج: 58.

21. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، الجزء السابع عشر من المجلد العاشر، ص 254.

22. النور: 22.

23. إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(1423)، تفسير القرآن العظيم، ط1، الجزء الخامس من المجلد الثالث، القاهرة، مكتبة الصفا، ص 310.

24. الحشر: 8.

الإسلام وأثره في نهضة مجتمعنا

أ.صلاح قاسم سعيد الفرا/ أمين مكتبة مسجد الربوات الغربية/ خانيونس

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد؛

فما من أمة من الأمم إلا وتفخر برجالها، وتعتز بأبنائها، وإن أحق أمم الأرض بهذا الاعتزاز والفخار بجدارة واقتدار، بل بشهادة العزيز الغفار هي أمةُ نبينا المختار، صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (1). فقد أنجبت الأمة رجالاً سيظل التاريخ يقف أمام سيرهم ومواقفهم الإيمانية وقفة إعزاز وإجلال وإكبار، وقد آن الأوان أن ترجع الأمة إلى عهد السلف الصالح.

عزيزي القارئ؛ اسأل نفسك ما هو الإسلام في نهضة مجتمعنا؟

الإسلام هو خاتم الأديان السماوية، وهو دين الله الذي نزل من السماء على نبيه، اصطفاه ليوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على أساس العقيدة الصادقة، والعبادة الخالصة، وليوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدل والرحمة، هذا هو الإسلام، ولكي نوضح هذا، فلا بد لنا من تفصيل:

• دعانا الإسلام إلى الإيمان بالله الذي خلقنا وسوانا، ومنحنا حواسنا وقوانا، وأنعم علينا ورعانا، ويعلم ظواهرنا وخفايانا، قال تعالى: {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} (2). ويعتمد الإسلام وهو يدعو الإنسان إلى الإيمان بالله أن يستثير عقله وسمعه وبصره وحواسه، ويحمله على النظر والتفكر في آيات الله الكونية وآياته التنزيلية ليهتدي إلى ربه، ويسعد بمعرفته وحبه، ويكتشف أسرار خلقه، ويزداد إيماناً وقرباً منه، فيقول سبحانه: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}(3).

{...فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} (4). ويعلن المولى سبحانه أنه سيسألنا عن عقولنا وحواسنا، فيحملنا على حسن استخدامها والانتفاع بها، وليوجهها توجيهاً صالحاً يعود بالخير على الإنسان ومجتمعه، فيقول سبحانه: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}(5) . ويعني القرآن أولئك الذين يغفلون حواسهم، ويهملون عقولهم، فيشبههم بالأنعام، وفي ذلك يقول: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ} (6).

هكذا يأخذ الإسلام بأيدينا ليصلنا بالله عن طريق العقل والمنطق والحجة والبرهان، فلم يقل لنا –كما تقول بعض الأديان– اعتقد وأنت أعمى، بل قال فكر قبل أن تعتقد، وانظر في خلق الله وآياته قبل أن تؤمن، ولم يحملنا على الإيمان بالقهر أو الإكراه، بل نص القرآن على منع ذلك، فقال سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ...} (7). وقال: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ...}(8).

روى ابن جرير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان، وكان رجلاً مسلماً، فقال للنبي، صلى الله عليه وسلم: ألا استكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله تعالى فيه: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}.

نعم؛ لا يحملنا الإسلام على الإيمان كرهاً، ولا يدفعنا إليه قسراً، وإنما يدعونا إليه بالحجة والإقناع، ويصغي إلى خصومه، ومن هنا؛ نرجو أن نقف وقفة قصيرة، فالقرآن بعد أن أقام الحجة على المعاندين، وبعد أن أبطل ما قرروه، وأثبت ما أنكروه، لم يشأ أن يحرمهم من حق الدفاع عن مذهبهم، بل أعلن استعداده لسماع ما بقي لديهم من قول، وما عندهم من برهان إن كان لديهم برهان، فيقول سبحانه: {... قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(9).

ولولا ذلك ما وقف القرآن منهم موقف التحدي والاستفزاز والإثارة والإعجاز.

أحبائي في الله؛ هكذا ترون الإسلام، فحينما يطالبنا بأول ركن من أركانه وهو شهادة أن لا إله إلا الله، يطالبنا في الوقت نفسه أن نفتح عقولنا وأسماعنا وأبصارنا وحواسنا، فلا ندخل فيه إلا من أبوابها، ولا نؤمن به إلا عن طريقها، ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الأمين: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... }(10).

آمن أسلافنا الأوائل بخالقهم إيماناً قوياً راسخاً، آمنوا به إيماناً فتح عقولهم، ونمّى أذهانهم، ووصلهم بالله وبأنفسهم وبالعالم أجمعه سفليِّه وعلويِّه، أرضه وسمائه، هوائه ومائه، نجومه وشهبه وأقماره، حيوانه ونباته وأشجاره ... هذا هو أثر الإيمان بالله، فتح عيونهم على كل ما في العالم، ودعاهم إلى النظر فيه، فهل يمكن أن يقال إن الإيمان بالله جذب المسلمين أو يجذبهم إلى الوراء؟ أو يجرهم إلى الخلف؟ أو أعمى أبصارهم وبصائرهم؟ كلا؛ فتلك تهمة برأ الله الإسلام منها، وعقيدته الأولى تقضي على هذا الاتهام، ولا تسمح لهم.

أيها الأحبة في الله؛ ومن رحمة الله بالبشر أنه أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم ليكونوا دعاة له، وهداه لخلقه، وليكونوا مثلاً طيباً، وقدوة صالحة، وليكونوا حجة له على عباده، والإيمان بالرسل يقوي الإيمان بالله، ويحمل في طواياه تنزيه الله تعالى عن العبث والظلم والسفه، ويضع أمام الناس مُثلاً بشرية عالية يحتذونها، ويقتدون بها، ويسيرون على منهجها في مراقبة الله، والإحسان إلى الناس دون انتظار أجر، وهذا من شأنه أن يقوي عزم الإنسان، ويحمله على كبح شهواته، ومنع نزواته، والسمو بنفسه، والبعد عن مواطن التهم، لا شك أن كل إنسان سيحيا بعد موته لينال المحسن ثوابه، ويأخذ المسيء عقابه، فلا ينجو ظالم، ولا يضيع حق مظلوم، ولا يستوي محسن ومسيء، وطائع وعاصي، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ}(11).

نعم عزيزي القارئ؛ فالقرآن يقرر عقيدة الجزاء، ويرد على الجاحدين والكافرين، وبهذه العقيدة يبادر الإنسان إلى امتثال ما أمر الله به، والكف عما نهى عنه، ويسارع إلى ما كلف به؛ طمعاً في الثواب، أو خوفاً من العقاب، بهذه العقيدة يتقي الإنسان ربه، وتقوى الروابط بين الناس، ويتم عمران العالم، وتختفي الجرائم، وتقل المنكرات أو تزول، ويصبح المجتمع مجتمعاً فاضلاً كاملاً، فإن عقائد الإسلام تزكي النفس، وتربي الضمير، وتلهم الإنسان الحكمة في الأقوال والأفعال والأفكار، وتهديه إلى الخير وإلى سواء السبيل، فقد جاءت فروع الإسلام لتعمل على تهذيب الإنسان، وخلق مجتمع فاضل طاهر يسوده الصفاء والحب والإخاء والعدل والسلام.

فالصلاة والصوم والزكاة والحج كلها تجمع بين حق الله وحق الإنسان لربهم، وفيها منافع للناس يشهدونها، ويلمسون آثارها في حياتهم، فهي عبادة لربهم، قال تعالى: {... يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (12)، وقال: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...}(13)،

وقال: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ... }(14). قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرٍو، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلاَ تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَظّاً، وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَظّاً، صُمْ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، صُمْ يَوْماً، وَأَفْطِرْ يَوْماً، فَكَانَ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ بِالرُّخْصَةِ) (15)

وهكذا رتب الإسلام حياة الإنسان، ووضع لها أكمل نظام، راعى مطالب جسمه، وراعى مطالب غريزته الجنسية، واهتمام الإسلام بجسم الإنسان يتجلى في تقديره لصحته، واعتنائه بها، وقد كان مما تعلمناه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دعاؤه في الصباح والمساء، (حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالاَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ؛ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثاً حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثاً حِينَ تُمْسِي، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثاً حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثاً حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ؛ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ) (16)

ولعناية الإسلام بالصحة؛ حث على النظافة، وحض على الطهارة؛ طهارة البدن والثوب والمكان، قال تعالى: {... إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (17).

وقال:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}(18).وينصحنا الإسلام بأن نتوسط في الأكل، فلا نعرض عنه، ولا نبالغ فيه، قال تعالى: { ... وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(19)، ولم يكتفِ الإسلام بهذا، بل وضع الأساس لإقامة مجتمع تعاوني تسوده المحبة، وتسري فيه روح الأُخوة لقوله تعالى: {... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمَ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(20)، وقوله، صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)(21) ، وقوله، عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(22)، هكذا حارب الإسلام الفقر بالعمل، وقدم المعونة للمحتاجين البائسين، ووفر لهم حياة طيبة هنيئة في ظلال الدولة الإسلامية، بعد ذلك نجد الإسلام يحارب الجهل، ويقعد له كل مرصد، وفي الآيات الأولى التي نزلت من القرآن، يقول تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمَ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(23)، فيحث على القراءة، وهي باب المعرفة وطريق العلم، ويضع نعمة التعليم عقب نعمة الخلق؛ ليشعرنا بأنه لا شيء بعد نعمة الوجود أعظم من نعمة العلم، وهذا ليكون لنا فيه قدوة حسنة، فلا يغتر إنسان بعلمه، بل يستقل ما لديه، ويستزيد من العلم في كل آن، لذلك أيها القراء الأعزاء؛ نرى أن الإسلام يحض على العلم، وقد دعانا إلى معرفة الله والإيمان به؛ ليدركوا أن الله سخر لهم ما في الأرض وما في السماء، ولاستطاعوا أن يأخذوا من الأرض طريقاً إلى السماء، ولتحقق لهم معنى التسخير، ولكانوا أسبق إلى اكتشاف الأقمار الصناعية والقذائف الصاروخية، أليس من العجب أيها الإخوة المسلمون أن يوجه الله هذا الخطاب إلى المسلمين في شتى بقاع الأرض من مئات السنين؟! قال تعالى: {سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...} (24)، وقال تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ...}(25). ومع هذا يغفل عنه المسلمون في عصرنا، وهم أول المخاطبين به، ثم يسبقهم إلى فهمه وتحقيقه أولئك الذين كفروا به، أيها القارئ الحبيب؛ لقد فهم الإسلامَ أسلافنا، فهموه على أنه يدعو إلى العلم بأوسع معانيه، فبرزوا في كل فن، وسبقوا في كل علم، وكانوا أساتذة الغرب في سائر نواحي الحياة، ولو استمر مسلمو اليوم في طريق أسلافهم الذي سلكوه، لكنا اليوم سادة العالم، وأصحاب النفوذ والسلطان، ولكنا صرنا عن الطريق، وتنكبنا سبيل الرشد، فوقفنا حيث كنا، بل رجعنا إلى الوراء، ونقب الغرب عن كنوزنا ونفائسنا، فانتفع بها، وواصل السير، فأصبح صاحب الكلمة، هكذا أيها القارئ العزيز؛ نرى الإسلام يحارب الفقر والمرض والجهل، ويدعو المسلمين إلى تلمس وسائل القوة، والعزة، والمنعة، والأخذ بأسباب المجد والرقي، ويحارب الإسلام الفقر، فيضعه بجانب الكفر، ويستعيذ منه الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما يستعيذ من الكفر، قال الرسول، صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُهُنَّ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ) (26)

عزيزي القارئ؛ هيا بنا نعرف رأي الإسلام في (قضية المرأة)، فإن رأي الإسلام فيها واضح، وليس بحاجة إلى الجدل العنيف، فالمرأة إنسان كالرجل، وهي منه، وهو منها، ومنهما يتكون النوع الإنساني، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(27). وهي مكلفة كالرجل، وواجب عليها أن تتعلم وتعمل، وأن تسهم في بناء المجتمع بما يتفق مع طبيعتها ومقدرتها، وتأخذ جزاءها على ما تصنع من خير أو شر، كما يأخذ الرجل جزاءه على ما يصنع سواء بسواء، قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ...}(28). وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ

مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(29). وقد أعطى الإسلام للمرأة ما أعطاه للرجل من حرية إبداء الرأي، وطلب منها كما طلب من الرجل، أن تدعو إلى الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(30). ويوجد أيضاً في القرآن سورة النساء، ولا يوجد سورة باسم الرجال، فهذا تكريم لهنّ، ورفع لشأنهنّ، واهتمام بهنّ، وعناية بشؤونهنّ، وتوجد سورة (المجادلة)، وهي عنوان عن امرأة جادلت الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحاورته، وأطالت الجدال والحوار معه، ونزل الوحي ينصفها، ويقر حوارها، قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (31)، وهذا دليل على أن المرأة يحق لها أن تبدي رأيها، وتقول كلمتها فيما يتعلق بشأنها. هذا هو موقف الإسلام من المرأة، أعطاها حرية الرأي، وحرية التصرف، وجعل لها شخصية مستقلة أمام الله والناس، والذي يحرص عليه الإسلام كل الحرص، هو أن تظل المرأة بعيدة عن كل ما يخدش سمعتها، أو يجرح كرامتها، هذا هو موقف الإسلام من المرأة، فالذين يقولون إن دين الإسلام يهضم المرأة، ويشل نصف المجتمع، يتجنون على الإسلام، ويرمونه بما هو براء منه.

عزيزي القارئ يرحمك الله؛ نحن نعرف جيداً أن الإسلام يهتم بجهاز الدولة، ويحرص على أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، وفي ذلك يقول تعالى لرسوله، صلى الله عليه وسلم: {... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.(32)

فإننا نجد المولى يكلف رسوله، صلى الله عليه وسلم، بمشاورة المسلمين ليتسنّى به من بعده، وقد كانت الشورى في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أوسع نطاق،

فلكل إنسان في الدولة الإسلامية عربياً كان أم أعجمياً أن يبدي رأيه، ويقول كلمته فيما يعرض عليه، وفي غزوة الأحزاب استشار الرسول أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بإقامة خندق حول المدينة، فاستحسن الرسول الفكرة، وبادر بتنفيذها، ولم يرض أن يوجه أوامر إلى جنوده، وهو ينام على سريره، أو يجلس على فراشه، بل كان يعمل معهم، ويقول: باسم الله وبه بدينا ...ولو عبدنا غيره شقينا .... وحبذا رباً وحب ديناً . وبجانب الشورى التي قررها الإسلام، يوصي أيضاً باتّباع العدل، ومراعاة الحق، والقضاء على الامتيازات، وتطبيق أحكام الله على الكبير والصغير، وهنا أذكر لكم أيها القراء الأعزاء أن يهودياً اشترى من الرسول، صلى الله عليه وسلم، تمراً سلماً على أن يتسلمه من الرسول في موعد محدد، وقبل حلول الموعد حضر اليهودي، وطلب من الرسول التمر، فأرجأه الرسول حتى يحين الموعد، فغضب اليهودي، وقال: (إنكم يا بني عبد مناف قوم مطل، وإني بكم لعارف) فسمعه عمر، فثار، واستأذن الرسول في ضرب عنقه، فغضب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقال: (لقد كنت أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي)، ثم أمر بأن يدفع له حقه، ويزاد عليه ثلاثون صاعاً جزاء ما وعده(33)، هكذا أيها الإخوة نجد الإسلام لا يعرف البغي ما وعده، هكذا أيها الإخوة نجد الإسلام لا يعرف البغي والعدوان حتى مع المخالفين في الأديان، بل نراه يحمي دماءهم وأموالهم.

أيها الإخوة الكرام؛ هذه مبادئ الإسلام، تصل الإنسان بالله، وتصله بالناس، وتبني المجتمع على أساس من الخلق الفاضل والمعاملات الكريمة، فإن الإسلام ينشر الصفاء، والمحبة، والعلم، والمعرفة، والثراء، والهناء، والصحة، والقوة، والعزة، والسيادة، والرخاء والسعادة، والعدل، والسلام، فإن دين المسلمين يجذبهم إلى الإنسانية، ودين الرقي والمدنية، فنحن حقيقة محتاجون إلى تقوى الله، ولا نخاف إلا الله، فإن مصيرنا جميعاً إلى الله،

ويقول الشاعر، رحمه الله، في قصيدة (إلى الله مصيركم):

عليك بتقوى الله إن كنت غافلاً ... يأتيك بـالأرزاق من حيثُ لا تـدري

فكيف تخـاف الفقر والله رازقـنا ... فقـد رزق الطير والحوت في البحر

ومن ظن أن الـرزق يـأتي بقوةٍ ... ما أكـل العصفور شيئاً مع النسر

تزود من التقوى فإنـك لا تـدري ... إذا جنّ عليك الليل هل تعيشُ إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير عـلةٍ ... وكم من سقيم عـاش حيناً من الدهر

وكم من فتى أمس وأصبح ضاحكاً ... وأكفانهُ في الغيب تُنسج وهو لا يدري

وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسـامهم ظلمة القبر

وكم من عروس زينوها لـزوجها ... وقد قبضت أرواحـهم ليلة القـدر

فـمـن عـاش ألفـاً وألفـين ... فـلا بـد من يـوم يسير إلى القبر

نسأل الله أن يهدينا وإياكم بهداه، فإنني أزف لكم هذه السطور، وهي معطرة، ومعها كل الحب والتقدير، وهي إن شاء الله تصل إلى قلب من يريد الله والدار الآخرة، اللهم هون علينا سكرات الموت، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1. آل عمران: 110.
2. النحل: 17 - 19.
3. الأعراف: 185.
4. الزمر: 17 - 18.
5. الإسراء: 36.
6. الأعراف: 179.
7. الكهف: 29.
8. البقرة: 256.

9. البقرة: 111.
10. يوسف: 108
11. المؤمنون: 115
12. البقرة: 185
13. الحج: 78.
14. البقرة: 286.
15. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر، لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم
16. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.
17. البقرة: 222.
18. المدثر: 4.
19. الأعراف: 31.
20. المائدة: 2.
21. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
22. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .
23. العلق: 1 – 5.
24. لقمان: 20 .
25. يونس: 101.
26. سنن النسائي، كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة.
27. الحجرات: 13.
28. آل عمران: 195.
29. النحل: 97.
30. التوبة: 71.
31. المجادلة: 1 .
32. آل عمران: 159.
33. شرح مشكل الآثار للطحاوي، 108/11.

فقه

قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

أنت تسأل والمفتي يجيب

دار الإفتاء الفلسطينية

1. الخلوة شرعاً

السؤال: ما الخلوة شرعاً؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن الخلوة شرعاً هي أن يوجد رجل وامرأة، ليست محرمة عليه على التأبيد، في مكان لا يوجد معهما فيه أحد من البشر، فإذا كان معهما في المكان مميز أو بالغ، لا يكون مختلياً بها، والخلوة بالأجنبية حرام بلا خلاف بين العلماء، لقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: (لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إلا كان ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)(1)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ على النِّسَاءِ، فقال رَجُلٌ من الأَنْصَارِ: يا رَسُولَ اللَّهِ، فرأيت الْحَمْوَ؟ قال: الْحَمْوُ الْمَوْتُ).(2)

2. مدة الحمل

السؤال: ما أقل مدة للحمل في الإسلام؟

الجواب: إن أقل مدة للحمل حسب الفقه الإسلامي هي ستة أشهر(3)، ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ

وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا}(4)، وقوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}(5)، ووجه الدلالة من هاتين الآيتين: أنه إذا كان مجموع الحمل والإرضاع ثلاثين شهراً، وكانت مدة الرضاع سنتين، كان الباقي من المدة؛ وهو ستة أشهر؛ فترة الحمل في حدها الأدنى، والله أعلم.

3. صندوق النفقة

السؤال: ما حكم الصدقة أو الوقف أو دفع أموال الزكاة لصندوق النفقة الفلسطيني؟

الجواب: لقد حدد الله تبارك وتعالى مصارف الزكاة، فقال في محكم التنزيل: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(6)، فالزكاة لا تصرف إلا إلى الأصناف الثمانية الواردة في الآية الكريمة.

ويجوز للمسلم أن يتصدق أو يقف لهذا الصندوق من أملاكه وأمواله الخاصة، أما الزكاة؛ فيجوز دفعها لهذا الصندوق شريطة أن يكون المستفيد منها ممن شملتهم مصارف الزكاة المذكورة في الآية الكريمة المذكورة أعلاه.

وينبغي على هذا الصندوق أن يميز أموال الزكاة عن غيرها، كأن يخصص حساباً خاصاً يضع فيه ما يأتيه من مال الزكاة، دون خلطه بالصدقات، وأن ينفق منه على الفئة المستحقة فقط، وأن يتعجل في إنفاق مال الزكاة على المحتاجين والفقراء، ولا يجوز صرف الزكاة لعموم المنتفعين من الصندوق من الأغنياء بأنفسهم أو بذويهم.

مع ملاحظة التقيد بأحكام جمع الزكاة وصرفها حسب الثابت في الفقه الإسلامي وأدلته الشرعية.

4. صرف الزكاة لإنشاء مبنى لجامعة

السؤال: هل يجوز صرف الزكاة لإنشاء مبنى لجامعة؟

الجواب: إن الزكاة لا تصرف إلا للأصناف الثمانية التي حددها الله تعالى في قوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.(7)

وبالنسبة إلى صرف الزكاة لإقامة مبنى للجامعة، فلا يجوز ذلك؛ لأن المستفيد من هذا المبنى سيكون الفقراء والمساكين وغيرهم من الأغنياء، الذين ليسوا محلاً لصرف الزكاة، ويمكن دفع صدقات وتبرعات خارج نطاق الزكاة لسد هذه الحاجة، مذكرين بأن ما يبذله المحسنون في ذلك هو من قبيل الصدقة الجارية التي ذكر الرسول، صلى الله عليه وسلم، فضلها فقال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ؛ إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).(8)

سائلين المولى، عز وجل أن ييسر لكم هذا الأمر، وأن يوفقنا وإياكم لخدمة هذا الوطن وشعبه وقضاياه.

5. نقل الأعضاء وزراعتها

السؤال: ما حكم نقل الأعضاء وزراعتها؟

الجواب: إن زراعة الأعضاء ونقلها من إنسان إلى آخر، من الأمور التي يختلف حكمها حسب الحالة، فإذا كان العضو المنقول من الإنسان نفسه وزراعته لنفسه، فيجوز إذا غلب على الظن تحقيق منفعة مشروعة لهذا الشخص من ذلك، ولم يكن من ذلك مناص أو بديل.

وأما إن كان نقل الأعضاء من شخص وزرعها لشخص آخر، فإما أن يكون الشخص الذي تنقل منه ميتاً، فيجوز ذلك إذا توقفت حياة الشخص المراد زراعتها له عليه، وذلك

بشرط موافقة ولي أمره، أو ولي أمر المسلمين إن كان المتوفى مجهولاً.

وإما أن يكون نقل العضو من جسم إنسان حي وزراعته في جسم إنسان آخر، فلا يجوز إذا كان العضو المراد نقله مما ليس له مثيل، كالقلب والكبد، لأن في نقل مثل هذه الأعضاء تهلكة للمنقول منه، وأما إذا كان العضو المراد نقله مما يتجدد تلقائياً، مثل الدم والجلد، أو كان مما له مثيل، بحيث لا يضر ببقاء المنقول منه، مثل الكلية، فيجوز هذا النقل من إنسان كامل الأهلية، وفق الشروط المعتبرة شرعاً.

وقد تناولت تفصيل فروع هذه المسألة عدد من الفتاوى والقرارات الصادرة عن عدد من المجامع الفقهية والمؤتمرات، كالمؤتمر الإسلامي الدولي المنعقد في ماليزيا، ومجمع الفقه الإسلامي في قراره رقم: 26 (1/4) المنعقد في دورة مؤتمره الرابع من 23-18 صفر 1408هـ الموافق 11-6 شباط 1988م، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولجان الفتوى في كل من الأردن، والكويت، ومصر، والجزائر وغيرها.

6. الاعتداء على المقابر

السؤال: ما حكم الاعتداء على المقابر من حيث نبشها أو الاعتداء على أرضها؟

الجواب: إن الله عز وجل كرم الإنسان حياً وميتاً، حيث قال في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(9)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَسْرُ عَظْمَ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا)(10)، وبين الرسول، صلى الله عليه وسلم، كراهة الجلوس على القبر، فقال: (لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ).(11)

واتفق الفقهاء على حرمة فتح القبور قبل أن تبلى العظام، فإن بليت، جاز فتح القبر لدفن ميت آخر فيه.

وعليه؛ لا يجوز شرعاً الجلوس على المقابر، ولا نبشها، ولا الاعتداء عليها، حفاظاً على كرامة المدفونين فيها، ولتجنب إيذائهم، وذلك سواء أكانت المقابر للمسلمين أم غيرهم.

7. قرض التأمين والمعاشات

السؤال: هل يجوز لي أن آخذ قرضاً من هيئة التأمين والمعاشات، وذلك لحاجتي إلى تحسين سكني؟

الجواب: معلوم أن أي قرض بفائدة، سواء أكان من مؤسسة أم من شخص فهو ربا، ولا يجوز أخذه، وقد توعد الله، عز وجل، أصحاب المعاملات الربوية، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ}(12)، وقال صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ).(13)

وعليه؛ فإذا كان القرض بفائدة، فلا يصح أخذه، وأما إذا كان دون فائدة، وهو القرض الحسن، فيصح أخذه.

والله تعالى أعلى وأعلم

الهوامش

1. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات (زوجات المجاهدين)، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة.
3. تفسير القرطبي، 9/286.

4. الأحقاف: 15.

5. البقرة: 233.

6. التوبة: 60.

7. التوبة: 60.

8. صحيح مسلم، كِتَاب الْوَصِيَّةِ، بَاب مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

9. الإسراء: 70.

10. سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان، وصححه الألباني.

11. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه.

12. البقرة: 279-278.

13. صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}.

وعظ وإرشاد

فاستبقوا الخيرات...

أ. كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم - رام الله

في سورة المائدة نقرأ قوله تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ}(1)، وفي سورة آل عمران نقرأ قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}(2)، وفي سورة الحديد نقرأ قوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(3).

هذه الآيات تدور حول محور واحد، وهو المسارعة والمسابقة إلى عمل الخير؛ لنوال الجنة والمغفرة. والواقع أنّ الناس صنفان: صنف تواتيه الفرصة فيغتنمها؛ تقرباً إلى مولاه، وصنف تأتيه الفرصة، بل الفرص فيؤجّل؛ ظنّاً منه أنّ العمر طويل، والأيام قادمة، والفرص تترى لا تنقطع... وحقيقة الأمر أنّ المؤمن لا يكون إلا من الطراز الأول؛ ذلك أنّ كتاب الله، وسنة نبيّه في كلّ منهما حثّ على المسارعة والمسابقة؛ وذلك لأسباب، منها:

- وجود الفتن التي تغشى الناس، فتنسي الإنسان نفسه، وفي الحديث: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً، وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)(4)، وما أكثر الفتن في دنيانا! من حروب أهلية،

وصراعات حزبية، وأفكار إلحادية، وأزمات اقتصادية ونفسيّة، تجعل المؤمن يتأرجح بين الكفر والإيمان، فيستحلّ ما حرم الله من الغشّ والربا ونحوهما.

- وهناك أمر ثانٍ يدفع إلى المبادرة والإسراع، وهو وجود ما يعين على الطاعة من شباب، وصحّة، وغنى، وفراغ، وحياة، وهذه كلّها سرعان ما تتغيّر؛ فالشباب يعقبه الهرم، والصحّة يعقبها السقم، والغنى قد يتبدّل فقراً، والفراغ قد يعقبه الشغل، والحياة قد تنتهي في أيّ لحظة بانتهاء الأجل. وَمَنْ مِن الناس يضمن بقاء الحال؛ (فإنّ بقاء الحال من المحال؟!) وكم من إنسان عندما تغيّرت أحواله، قرع سنّ الندم، فما حصد سوى الحسرات!! هذا واحد ضعف من بعد قوّة، وشاخ بعد شباب، فأنشد متحسراً:

أرعشني الزمـــان أيّ رعش وكنت ذا قـــوّة وبطش

قد كنت أمشي ولست أعيا واليوم أعيا ولست أمشي

-وهناك أمر آخر يدفع العاقل إلى المبادرة، وهو عدم وجود الصوارف، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً؛ هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالِ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرّ) (5)، وهذه السبعة تصرف الإنسان عن الطاعة، فالفقر، وما ينشأ عنه من غمّ ينسي، والغنى إن لم يصاحبه الشكر يطغي، والمرض يفسد العقل والبدن، والهرم يؤدّي إلى الانحراف عن سنن الصحّة، والموت المجهز، وهو موت الفجاءة، وهو أخذة آسف، وقيل: الموت المجهز هو الموت في الشباب، وكذلك الدجّال الذي لا ينجو من فتنته إلا من عصمه الله، والساعة، وهي لا تأتي إلا بغتة، وهي أشقّها. فعلى العاقل أن يفهم الدنيا على حقيقتها، فيغتنم نفحات الخير، وكم من إنسان ابتلاه الله بتتابع نفحات الخير، فما كان له في عمل الخير

موطئ قدم. أحدهم عندما جاءه الموت أخذ ينظر إلى قدميه، ويقول: متحسّراً: ما اغبرّتا في سبيل الله!! ومن لا يتذكّر ما قال أبو نواس لمّا دبّ فيه المرض، بعدما أفنى شبابه في غير طاعة ربّه:

دبّ فيَّ السقام سُفلاً وعلواً وأراني أمـــوت عضواً فعضوا

ذهبت جدّتي بطاعة نفسي وتذكّـــرت طاعة الله نضوا

فعلى العاقل أن يبادر إلى الطاعة، وعمل الخير، والتؤدة في كلّ شيء خير إلا في أعمال الخير كما قال عمر بن الخطاب، ولنا في النبيّ وإخوانه الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أسوة وقدوة، فقد كان صلى الله عليه وسلّم، يسارع في الخيرات، من ذلك ما روى أبو سروعة عقبة بن الحارث، رضي الله عنه، قال: (صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ). (6)

ويحكي القرآن الكريم في معرض الثناء على سيّدنا زكريا، وزوجه، وابنهما يحيى، عليهم السلام: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}(7)، وفي هذا واعظ لمن يؤجّل؛ ظناً منه أنّ في الوقت متّسعاً، وهو يغفل عمّا يمكن أن يدهمه من حوادث عظام.

لقد سمعنا عن أناس هيّأ الله لهم من يذكرهم، ولكنّهم أجّلوا، فمنهم من قال: بعد الزواج سيرتاح بالي، وسأبدأ مشوار العبادة والإنابة، ومنهم من قال: بعد بضعة أشهر سأحصل على الشهادة، وأتخرّج، ولن يشغلني عن العبادة والإنابة شاغل، ومنهم من قال: عمّا قليل ستكتمل الصفقة، وسيكتمل المليون، وبعد أن أصبح مليونيراً سأضع

رِجلاً على رِجل، وسأتفرّغ للعبادة، ومنهم من قال: عمّا قليل سأنتهي من إعمار البيت، وعندها سأترك مساحة كبيرة من وقتي للعبادة، الذي سرقه منّي بناء البيت... وجرت قدرة الله على غير ما يتوقّعون؛ فتعثّرت أحوال الأول فلم يتزّوج، وجاء الثاني ما ذهله عن استكمال تعليمه، فلم يفرح بشهادته وتخرّجه، وخسر الثالث الصفقة فلم يهنأ بالمليون، ومات الرابع قبل أن ينهي إعمار بيته!!

فهيهات أن يتساوى من أفنى شبابه في طاعة الله، ومن انساق مع هوى نفسه، فلقي الله موزوراً غير مأجور!! (فيا من وهى شبابه، وامتلأ بالزلل كتابه، أما بلغك أنّ الجلود إذا استشهدت شهدت؟ أمّا علمت أن النار للعصاة خلقت، إذا اعتقدت أنّما خلقت لتأكل وتنام، فبم تميزت عن البهائم؟! فبادر وسابق إلى الخيرات؛ فلعلك تفوز في دار الخلود؛ فإن النعيم لا يدرك بالنعيم، وإنّ لذة الراحة لا تنال بالراحة) (8).

الهوامش

1. المائدة: 48.
2. آل عمران: 133.
3. الحديد: 21.
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.
5. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، وضعفه الألباني.
6. صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم.
7. الأنبياء: 90.
8. القيصرة لابن الجوزي، ص75، وغيرها بتصرف.

قصة آية الغدر والخيانة

أ. هيام جرار-مدرسة بنات صانور الأساسية

قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ*بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (1).

كانت اليهود تستنصر بمحمد، صلى الله عليه وسلم، على مشركي العرب ويقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا، حتى نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمداً، صلى الله عليه وسلم، ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الكَافِرِينَ}، وغضب الله على اليهود بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غضب عليهم في العجل، وغضب عليهم حين كفروا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن (2). ولما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصّغار في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (3)، داخرين تعني: صاغرين، حقيرين، ذليلين.

عن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْناً فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ؛ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ) (4).

لقد كان اليهود يعيشون في المدينة المنورة التي كانت تسمى آنذاك (يثرب)، ومن وقت لآخر كانت تنشب الحروب والصراعات بين العرب واليهود لأسباب كثيرة، فقد كانت الظروف الاجتماعية تحتم هذه الحروب، ويبدو أن اليهود – وما عرف عنهم من حب شديد للمال – كان لهم أكبر الأثر في ذلك، حيث كانوا يستغلون أهل المدينة، ويقومون بخداعهم، فلم تكن المعارك تنتهي لصالح اليهود، فقد كانوا قلة قليلة، كما كانوا يتصفون بالجبن الشديد، فلا يقدرون على مواجهة العرب أو التصدي لهم.

اجتمع اليهود في يوم من الأيام ليتدارسوا الأمر، ويبحثوا عن السبب في هزائمهم المتكررة، وما السبيل للانتصار على القبائل العربية خاصة قبيلة غطفان، التي كان لها الباع الأكبر في هزيمة اليهود.

قال أحدهم: إلى متى سنظل نتجرع كأس الذل والهوان؟

وقال آخر: لقد جربنا الحيل والألاعيب كلها، ومع ذلك لم ننتصر على العرب، وفجأة صاح أحدهم وقال: جاءتني فكرة، سوف تخلصنا من هؤلاء العرب، وتؤمننا من هؤلاء جانبهم، نحن أهل الكتاب، أنزل الله إلينا التوراة، أليس كذلك؟ فقالوا: بلى، ولكن ما علاقة ذلك بما تتحدث عنه؟

فأجاب: لو تدبرنا آيات التوراة، لما سألتم مثل هذا السؤال، لقد حدثتنا التوراة عن نبي آخر الزمان، يأتي من العرب واسمه أحمد، وهو من أحب أنبياء الله ورسله إلى الله.

وحدثتنا التوراة كذلك أن قومه سيكذبونه، ويحاربونه، ويخرجونه من بيته.

أدرك الحاضرون مغزى كلام الرجل، فشعروا بالسعادة والاطمئنان، وقال أحدهم: يجب أن نسأل الله بحق نبيه الخاتم أن ينصرنا، كما يجب أن نخبر العرب بأمر هذا النبي، صلى الله عليه وسلم، وما سيكون منهم، عندئذ سوف نؤمن به، ونكون من أتباعه، حتى يكتب لنا النصر على أعدائنا، وفي اللقاء الحاسم بين اليهود والعرب، دعا اليهود الله عز وجل، وتضرعوا إليه قائلين: إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم، ولم يخذلهم الله هذه المرة، فانتصروا نصراً مؤزراً على قبيلة غطفان.

وتكرر الدعاء، وتكرر النصر كذلك، حتى إن اليهود أخذوا يدعون ويلحّون في الدعاء أن يبعث الرسول، صلى الله عليه وسلم، حتى يتبعوه، ويقاتلوا العرب والمشركين معه، وشاء الله أن يبعث رسوله، صلى الله عليه وسلم، بالهدى ودين الحق، وأمره أن يدعو الناس كافة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه.

امتثل الرسول، صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، فدعا العرب واليهود والنصارى، وأرسل رسله إلى البلاد المجاورة، أما العرب فكان من أمرهم ما هو معروف، فقد حاربوه صلى الله عليه وسلم، وآذوه، ولم يؤمن منهم إلا القليل، وحدثت معارك بين الفريقين، حسمت في النهاية لصالح الحق والعدل والخير.

وأما اليهود؛ فكان أمرهم عجباً، ويدعو للدهشة، لقد رأيناهم قبل قليل يعترفون برسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، ويدعون الله أن يبعثه؛ حتى يتبعوه، ويحاربوا معه المشركين، وها هو الرسول، صلى الله عليه وسلم، يدعوهم بالحسنى، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويخبرهم أنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه مذكور بأوصافه في التوراة، ويطلب منهم أن يصدّقوه، ويؤمنوا برسالته، حتى ينالوا رضوان الله تعالى.

وانقلب موقف اليهود من الضد إلى الضد، فبعد أن كانوا ينتظرون بعثة النبي، صلى

الله عليه وسلم، بفارغ الصبر، إذا بهم يكذبونه، ويتآمرون ضده، ويتحالفون مع المشركين والعرب ضده.

لقد امتلأت قلوبهم بالغيظ والحسد للرسول، صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لو كان هذا النبي من بني إسرائيل لاتبعناه ونصرناه، وأراد الله تعالى أن يكشف موقف اليهود أمام الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأمام المسلمين، وأمام الناس جميعاً، فأنزل قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (5).

إن الشيء الغريب حقاً، هو أن يكذب الإنسان شيئاً، وهو على يقين من صدقه، وهل يستطيع أحد أن ينكر ضوء الشمس؟!

ربما كان للعرب عذر في موقفهم؛ لأنهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ولكن ما عذر اليهود وهم أهل الكتاب؟ أنزل الله عليهم التوراة، وقص عليهم فيها عن محمد، صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وأخبرهم عن القرآن الكريم، فكيف لا يصدقونه، ولا يؤمنون به؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تجيء على لسان عبد الله بن سلام (6)، وقد هداه الله للإسلام، ذات مرة قال للرسول، صلى الله عليه وسلم: إن اليهود أهل بُهت وضلال، كان الكذب طبيعةً فيهم، وأراد عبد الله بن سلام أن يثبت للنبي، صلى الله عليه وسلم، صدق ما يقول، فطلب من النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يسأل اليهود عنه، وعن مكانته بينهم، بشرط ألا يخبرهم بنبأ إسلامه.

وعندما سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، اليهود عن مكانته بينهم، قالوا: إنه عالمنا وابن عالمنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال صلى الله عليه وسلم: أفرأيتم إن أسلم، أفتسلمون؟

فقالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، أعاذه الله من أن يسلم، عندئذ خرج عبدالله بن سلام على هؤلاء اليهود، وقال لهم: يا معشر اليهود، اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به محمد، صلى الله عليه وسلم، فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، وفجأة تغيّر موقف اليهود من الضد إلى الضد، وقالوا: والله إنك لشرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، وعندئذٍ اندهش الحاضرون لطبيعة اليهود العجيبة، والتفت عبدالله بن سلام إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقال: ألم أقل لك يا رسول الله إن اليهود قوم بهتان وباطل، وإنهم أهل غدر وخيانة؟ (7)

إن المسلم يجب أن يتعلم من هذه القصة كثيراً؛ فيجب أن يحذر منهم، ونعلم أن الكذب طبيعة فيهم، وأن الغدر والخيانة من أهم صفاتهم، ولعل ما يفعلونه في بلادنا فلسطين المحتلة والقدس الشريف خير دليل على ذلك.

الهوامش

1. البقرة: 89 - 90.
2. تفسير ابن أبي حاتم، 1/ 174.
3. غافر: 60.
4. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، وحسنه شعيب الأرناؤوط.
5. البقرة: 89.
6. عبدالله بن سلام هو أحد أحبار اليهود.
7. مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

المفاوضات والمستعمرات الاستيطانية

أ. عودة عريقات

المتابع للسياسة الإسرائيلية التي ربطت إجراء المفاوضات وبناء المستعمرات بعلاقة إستراتيجية، أثبتتها سنوات التفاوض الماضية، حيث ازدهر الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية، وجولات المفاوضات تعقد تباعاً، فالمفاوضات كانت درعاً للإسرائيليين، ومظلةً لكسب الوقت من أجل بناء مزيد من المستعمرات، وخلق وقائع على الأرض الفلسطينية، يستند إليها المفاوض الإسرائيلي في ظل تغييب قرارات مجلس الأمن الدولي الخاصة بالنزاع العربي الإسرائيلي، والناظر إلى جبال الضفة الغربية وهضابها ليلاً في كل الاتجاهات، يرى الأضواء المنبعثة من المستوطنات، ويدرك حجم الاستعمار الاستيطاني الكبير للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م، وفي أثناء فترة التجميد لم يتوقف ما يسمى النمو الطبيعي للمستعمرات، ولم يتوقف البناء في المواقع البعيدة عن أنظار المراقبين، وأيضاً لم تتوقف مصادرة الأراضي، وقطع الأشجار من قبل المستوطنين، ولم تتوقف استفزازاتهم واعتداءاتهم على المواطنين الفلسطينيين في معظم الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ومنذ سبعينيات القرن الماضي، رغبت إسرائيل – وبدعم أمريكي وأوروبي – في أن تكون المفاوضات مباشرة مع العرب والفلسطينيين، ودون شروط مسبقة ودون مرجعية

للقوانين الدولية أو قرارات مجلس الأمن، ويحكمها مبدأ المثل الشعبي القائل(بين البائع والشاري يفتح الله)، وما استعمال الفيتو الأمريكي المتكرر لصالح إسرائيل والجولات المكوكية للمبعوثين الأمريكيين لطمأنة الجانب العربي وتخديره، وأيضاً المناصرة والمساعدات الأوروبية لإسرائيل إلا دلائل على هذا الدعم، وبنت إسرائيل أيضاً إستراتيجيتها التفاوضية منذ اتفاق أوسلو على الأقل بعدم البحث، وتأجيل نقاط التفاوض الجوهرية مثل الحدود، والقدس، واللاجئين، والمياه إلى أجل غير مسمى، أو إلى آخر جولات التفاوض، إذا ما أُحرز تقدم في المفاوضات الأولية التي تبحث في التنسيق، والتنظيم، والتسهيلات، وأمور أخرى تمهد الطريق لتسوية العقبات العالقة، ومن ثم الدخول في مفاوضات جدية على الوضع النهائي، وبعد سنوات التفاوض الطويلة التي انتابها الجدل الطويل، ومحوره الدجاجة أو البيضة أولاً، والتي أبقت المفاوضات تراوح محلها بسبب غياب الرغبة الإسرائيلية في الحل، والتوصل إلى سلام عادل، يعطي الفلسطينيين حقوقهم المشروعة المتوافقة مع قرارات الشرعية الدولية، ولكنها بنظر الساسة الإسرائيليين غير مشروعة، حيث امتلأت الضفة الغربية بالمستعمرات الاستيطانية، وزاد عدد المستعمرين من اليهود للأرض الفلسطينية، وأصبح ذلك واقعاً على الأرض الفلسطينية، يلمسه ويشاهده أي مواطن يسير على طرقات الضفة الغربية من خلال سيارات المستعمرين، التي ملأت الشوارع الفلسطينية وسببت الازدحام.

ولا ينفي هذا الواقع إلا من كان مصاباً بالعمى، بحيث أصبح تجميد بناء المستعمرات وعدمه لا يغير من الواقع شيئاً، ولكن الاستمرار في بناء المستعمرات ينفي الرغبة الإسرائيلية في تحقيق السلام، ويضع العراقيل في طريقه، ويظهر النوايا الإسرائيلية السيئة تجاه السلام، وتجاه الحقوق المشروعة للفلسطينيين.

والجدل القائم حول تجميد البناء أو استمراره في المستعمرات، يوحي أن ما بني هو شرعي، وهذا ما يريد الإسرائيليون تسويقه في العالم من خلال التركيز على تجميد البناء في المستعمرات، أو الاستمرار في البناء، ويأتي ذلك في ظل تغييب مرجعية قرارات مجلس الأمن الدولي الخاصة بالقضية الفلسطينية.

ومن هنا يفاوض الإسرائيليون من منطلق الوقائع على الأرض، ويتفهم الأمريكيون والأوروبيون موقفهم، ويدعمون المفاوضات المباشرة التي تجري بين طرف قوي مهيمن، وطرف آخر ضعيف لا يمتلك الأوراق اللازمة لدعم مطالبه، والأوراق التي تمتلكها إسرائيل في التفاوض، وتعتبرها نقاط قوة هي نفسها تشكل نقاط ضعف للجانب الفلسطيني، وهي الواقع الجغرافي من خلال المستعمرات، والجدار، وفصل الضفة عن القدس وعن قطاع غزة.

وأيضاً الانقسام الفلسطيني، والضعف العربي، والدفع الأمريكي والإسرائيلي باتجاه تحويل الحالة العدائية بين معظم العرب مع إسرائيل، ونقلها إلى حالة عداء مع الدولة الإسلامية في إيران، وزرع بذور الفتنة التي بدأت نبتاتها في الظهور مؤخراً في دول عربية عدة.

بالإضافة إلى مطالبة إسرائيل بالدخول في المفاوضات بدون شروط مسبقة، ولكنها تضع شروطاً صعبة، وتعلم أن من الصعب على الجانب الفلسطيني قبولها، وهذا ما يحول دون الوصول إلى نتائج في المفاوضات الجارية.

وما طرحه رئيس الوزراء الإسرائيلي من ضرورة بقاء الهيمنة الإسرائيلية على الحدود الغربية والشرقية للدولة الفلسطينية، وأيضاً ضرورة اعتراف الفلسطينيين بيهودية الدولة الإسرائيلية، وما طرحه وزير خارجيته ليبرمان بديلاً لهذا الطلب، وهو تبادل

الأراضي والسكان بين إسرائيل والدولة الفلسطينية التي ستقام مستقبلاً.

وطلب الاعتراف بيهودية الدولة الإسرائيلية، وشرط ليبرمان تبادل الأراضي والسكان هما وجهان لعملة واحدة، وما طرحه ليبرمان هو مخطط إسرائيلي، يحقق الحلم الصهيوني منذ أول حجر بني في المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية، وترافق مع حديث الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عن العامل الديمغرافي، وإظهار الخوف من تزايد عدد المواطنين العرب ليصل بعد سنوات محددة إلى مستوى يساوي عدد السكان اليهود.

بالتالي ووفقاً لما يطرحه الإسرائيليون من شروط، تضع العربة أمام الحصان، فإن حق العودة الذي يطالب به الجانب الفلسطيني لعودة اللاجئين الفلسطينيين لمدنهم وقراهم داخل الخط الأخضر، (حدود إسرائيل حتى الرابع من حزيران عام 1967م)، يقابله طلب إسرائيلي وفقاً لشروطهم، يقضي بترحيل الفلسطينيين الباقين داخل الخط الأخضر منذ عام 1948م، ويتجاوز عددهم المليون ونصف المليون مواطن إلى أراضي الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع.

وهذا هو كنه مطلب رئيس الوزراء الإسرائيلي بالاعتراف بيهودية الدولة الإسرائيلية وجوهره، وهو نفسه جوهر مطلب ليبرمان بتبادل الأراضي والسكان.

وموقف المفاوض الفلسطيني صعب جداً، وفقاً لهذه الشروط الإسرائيلية المسبقة، ولو جند للمفاوضات – في ظل هذه الظروف والأجواء والمعطيات القائمة الموسومة بضعف الطرف الفلسطيني والعربي، لغياب أوراق الضغط من على طاولة المفاوضات– أعظم بروفيسيرات العالم بالسياسة وأقوى ثوارها، ذلك لأنهم لن يستطيعوا إقناع الإسرائيليين بالتنازل قيد أنملة، ولن يحققوا نتائج، لأن ما يطرحه الجانب الأمريكي حول قيام الدولة الفلسطينية في العام القادم أو الذي يليه، ما هو إلا تمنٍ على الجانبين؛ للتوصل إلى اتفاق

وتذليل العقبات، ولم تعرف معالم هذه الدولة و لا حدودها، ولم يعرف مصير القدس، ولا مصير اللاجئين المنتظرين لحق العودة أكثر من ستين عاماً، ولا مصير الأسرى القابعين في السجون، ومنهم من أمضى أكثر من ربع قرن.

لذلك؛ فإن المفاوضات في ظل المعطيات والوقائع السابقة صعبة، ولا يرجى منها نتائج إيجابية إلا إذا قبل الجانب الفلسطيني بالحلول المؤقتة، والتي يسعى الطرف الإسرائيلي لتسويقها، وتحويل الأنظار العربية لإيران والتفرغ لمحاربتها.

وإذا أراد الفلسطينيون والعرب امتلاك الأوراق القوية والرابحة لاستعمالها في المفاوضات، فلا بد من إنهاء الانقسام الفلسطيني، وإجراء المصالحة والوحدة بأسرع وقت ممكن، لأن ذلك يقوي الطرف الفلسطيني المفاوض، ومفاوضاته تعبر عن إرادة فلسطينية أوسع وأكبر في تمثيلها للشعب الفلسطيني.

والجانب العربي باستطاعته تقوية الموقف الفلسطيني بتجنيد السياسة والمصالح المشتركة مع الغرب، والامتناع عن تطبيع العلاقات مع إسرائيل إلا بعد تحقيق نتائج إيجابية على الأرض من مفاوضات السلام.

وأيضاً عدم الانجرار لأهواء السياسة الأمريكية والإسرائيلية لمعاداة إيران، لأن ذلك لا يخدم المصالح العربية، بل يخدم المصالح الغربية والإسرائيلية.

والمفاوضات هي صراع سياسي يجب الاستعداد له جيداً، وتوفير كل السبل الداعمة له من قبل الفلسطينيين والعرب وأصدقائهم في العالم، ومن كل محبي السلام، والرجوع إلى قرارات مجلس الأمن، وطرحها من قبل المفاوض الفلسطيني للفصل في النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، وتخيير الطرف الإسرائيلي في تطبيق قرارات الأمم المتحدة، وخاصة قرار التقسيم رقم 181 الصادر عام 1947م، والذي انطلقت منه فكرة يهودية

الدولة، أو تطبيق قرار 242 الصادر عام 1967م، وقرارات الأمم المتحدة تدفع بعدم شرعية المستعمرات الإسرائيلية – ما بني منها وما سيبنى مستقبلاً – لأنها بنيت على أراضٍ فلسطينية محتلة (الضفة الغربية)، انتزعت من دولة (المملكة الأردنية الهاشمية) في حرب عام 1967م، وفقاً لقرارات مجلس الأمن الصادرة إثر الحرب، ووفقاً للقانون الدولي، فعدم شرعية المستعمرات قائم، ويجب إزالتها، أو التفاهم عليها، وفقاً لما توحيه المصلحة الفلسطينية وتتطلبه.

وهناك سابقة في هذا المجال، حيث أخفيت معالم المستعمرات الإسرائيلية، وعلى رأسها مستعمرة ياميت في صحراء سيناء، إثر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

من هنا؛ يتوجب ضرورة طرح الجانب الفلسطيني على رأس جدول المفاوضات كمبدأ أولي بعدم شرعية المستعمرات الاستيطانية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفقاً لما تنص عليه قرارات الشرعية الدولية وقوانينها بهذا الخصوص.

وتكريس مبدأ إزالتها في أي تسوية قادمة، مع إعطاء الخيار للجانب الفلسطيني في إبقائها للمنفعة الفلسطينية.

ومن هنا؛ فإن المفاوضات المباشرة التي يستند فيها المفاوض الإسرائيلي إلى الواقع الحالي للأرض الفلسطينية، ويستند إلى عامل الزمن الذي سيغير التراث والتاريخ العربي والإسلامي لفلسطين، ويستبدله بتراثٍ وتاريخٍ عبري مزيَّف لن تجدي.

وإنما يجدي نفعاً أن يفاوض المفاوض العربي والفلسطيني من مركز قوة، ويستند إلى قرارات الشرعية الدولية، والإجماع الدولي لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية.

الذمي والمواطنة

د. سعيد القيق / جامعة القدس

معنى الذمي لغةً واصطلاحاً:

الذِمَّة بكسر الذال، وفتح الميم المضعَّفة وردت في معاجم اللغة بمعنى العهد والعقد، وبمعنى الكفالة والضمان، وبمعنى الأمان، وبمعنى الحق والحرمة(1)، ونقول رجل ذمي: أي رجل له عهد أو عقد، ومن ذلك يسمى أهل الذمة أهل العهد أو أهل العقد، وهم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيمون في الدولة الإسلامية، وتكون إقامتهم دائمة، ذلك أن الإسلام بسماحته لا يمنع غير المسلمين من مخالطة المسلمين والإقامة في دار الإسلام.

وقد أقر عدد من الفقهاء بأن الذميين من أهل دار الإسلام، ومعنى ذلك أن الذميين يعدون من أفراد شعب دار الإسلام، ومرتبطون بالدولة الإسلامية بما يسمى برابطة الجنسية. (2)

ويفقد الذمي هذه الجنسية إذا قام بما تنتقض به الذمة؛ كالتحاقه بدار الأعداء، فتنقطع بذلك صلته بدار الإسلام، ولا يوجد غرابة في ذلك طالما أن أي مواطن مسلماً كان أم ذمياً يعاقب إذا ما تعامل مع العدو، وقد تصل العقوبة إلى حد سحب الجنسية منه. أما إذا لم يظهر من الذمي ما يدل على نقض العهد، فليس للدولة الإسلامية الحق في إسقاط الجنسية عنه.

وقد أفردت الشريعة الإسلامية للذميين معاملة خاصة لا يمكن إدراك مستواها الحضاري، إلا إذا ألقى الإنسان المفكر أو المؤرخ نظرة على معاملة (الأجانب) في مختلف النظم التي سبقت قيام الإسلام، أو النظم التي صاحبت قيامه، أو النظم التي تلته (3).

وعلى الرغم من أن مفهوم الذمة شابته شوائب استغلت في تشويهه، فإنه ظل معلماً بارزاً من معالم السماحة والتحضر في حضارة الإسلام التي تأسست على مبدأ {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}(4)، وقوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}(5)، ومع ذلك فإن هذا المفهوم(أهل الذمة) ليس من الألفاظ الشرعية الملزمة، فإذا فهم منه معنى التحقير من مواطني الدولة غير المسلمين، فيمكن الاستعاضة عنه بأي مفهوم آخر؛ تجنباً للبس مثل (مفهوم المواطنة) ما دام يحقق المبدأ الإسلامي في المساواة بين المواطنين، وذلك على قاعدة (لهم مالنا وعليهم ما علينا)، وقد قال بذلك الشيخ يوسف القرضاوي، واتفق معه في ذلك الشيخ راشد الغنوشي الَّذي أكدَّ أيضاً على قدرة الإسلام على تأصيل فكرة المواطنة في ثقافتنا حتى لا تبقى مجرد شعار.

وأكد الشيخ القرضاوي على أن السلم هو الأصل في الصداقة مع غير المسلم، وأن الجهاد لم يجعل أداة لفرض الإسلام على مخالفيه؛ لأن ذلك مخالف لروح الشريعة ومقاصدها، التي جاءت لتعلي من حريات الإنسان، وتحمله بعد إقامة الحجة عليه مسؤولية مصيره، قال تعالى: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}(6)، وقوله أيضاً: {لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}(7)، وإنما هو سبيل لدفع العدوان، وإتاحة حرية الاختيار، والعبادة للناس، آمنين من كل فتنة وإكراه، وحسابهم على الله (8).

ويذكر الدكتور محمد عمارة أن المواطنة اقترنت بظهور الإسلام، ويعرفها بالتفاعل بين الإنسان والوطن الّذي ينتمي إليه، فهي علاقة تفاعلية لكونها تقوم على مبدأ الحقوق

والواجبات، ومن هذه الواجبات التي تتحقق بها صفات المواطنة أن يحترم هويته الوطنية، ويؤمن بها، ويدافع عن كل عناصرها وثوابتها: الأرض، واللغة، والتاريخ، والقيم، والآداب العامة، أما الحقوق التي يحصل عليها المواطن بموجب هذه العملية التفاعلية فأهمها المساواة في تكافؤ الفرص، وانتفاء التمييز في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب اللون أو الطبقة أو الدين مع تحقيق التكافل الاجتماعي الّذي يجعل الأمة سداً واحداً، وكياناً مترابطاً (حقوق المواطنة في الإسلام).

مقارنة بين المواطنة في الفكر الغربي الحديث والفكر الإسلامي:

المواطنة كلمة مشتقة من وطن، نقول توطن وطناً بالمكان: أقام به، وطن البلد اتخذه وطناً، وأوطن إيطاناً بالمكان أقام به، واستوطن البلد، اتخذه وطناً، والوطن جمعه أوطان، ومنه منزل إقامة الإنسان الذي ولد فيه.

والمواطن في الإسلام هو كل فرد اتخذ أرض الإسلام له وطناً، سواء كان مسلماً أم غير مسلم من أهل الكتاب، أو أهل الذمة، وهناك فرق بين أهل الكتاب وأهل الذمة.

يرتبط مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الحديث بالدولة القومية من جهة، والديمقراطية من جهة أُخرى.

وقد سادت قبل الدولة القومية في أوروبا إمبراطوريات جامعة وأعراق وقوميات عدة، كان الرابط الديني الجامع لها، ثم تفككت تلك الإمبراطوريات، وتشكلت على أنقاضها دول قومية بحثت لها عن مصادر بديلة للشرعية، تبلورت بعد سلسلة من التطورات الفكرية والحروب الدينية في معاهدة وستفاليا بين الدول الأوروبية في منتصف القرن السابع عشر فيما هو متعارف من دول قومية علمانية وديمقراطية، يتمتع فيها كل سكانها على اختلاف الدين والعرق بحقوق متساوية، باعتبارهم مواطنين تنطلق حقوقهم من الاشتراك في الأرض.

والذي يجب التأكيد عليه أن الارتباط بين الدولة والقومية والعلمانية والديمقراطية من جهة، والمواطنة من جهة أخرى لا يحمل أي دلالة لزومية، وإنَّما مجرد حدث في التاريخ الغربي، والدليل أن أوروبا عرفت دولاً قومية علمانية، لا تعترف بكل مواطنيها بحق المساواة، بل اقترفت في حقهم اضطهاداً بلغ حد الإبادة كما فعلت النازية والفاشية. ولم يكتسب السود في الولايات المتحدة – مع أنها دولية قومية علمانية – حقوق المواطنة، ولو من الناحية النظرية إلا في الستينيات من القرن الماضي، ولا يزال المسلمون يتعرضون، وكذلك أعراق وديانات أُخرى لظروف بشعة من التمييز والقمع في دول قومية علمانية عديدة، مما يؤكد أن هذا الرابط لا يحمل أي دلالات عابرة للتاريخ، وإنَّما هو مجرد واقعة، ومقابل ذلك قامت في الغرب والشرق حكومات ديمقراطية على أساس المواطنة، دون أن تكون علمانية، بل تبنت ديناً رسمياً مثل المملكة المتحدة، حيث جمعت بين السلطة الدينية والسياسية.

التطبيق الإسلامي لحقوق المواطنة :

قبل أن نتطرق إلى هذه القضايا الشائكة لابد أن نعود للتاريخ، فقبل ظهور الإسلام وخروجه من جزيرة العرب، وقبل اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وانضمام عناصر كثيرة من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، فكيف كان حال أبناء المستعمرات في العراق والشام ومصر وغيرها من الأمصار المستعمرة من قبل الدولتين العظميين؟

كان غزو هذا البلد أو ذاك واحتلاله بالقوة، يعني أن البلد بكل ما فيه من أرض وممتلكات، وما فيه من بشر، صار ملكاً لكسرى أو قيصر، إن شاء نكل بأهل البلد، أو صيرهم عبيداً، وكانت المواطنة حق وميزة، لا يتمتع بها إلا أبناء الفرس والروم، والضرائب تفرض على أبناء المستعمرات، دون أن يحق لهم الاعتراض أو التحفظ، وكان المواطنون الرومان أو الفرس، مميزين مكانة ومنزلة عن سائر السكان.

وكان أبناء المستعمرات محرومين من الانخراط في سلك الجندية، وإذا حدث فإنه يتم تجنيدهم في بلاد أخرى غير بلادهم.

في ذلك العصر خرج المسلمون من جزيرة العرب؛ ليفتحوا الأمصار، فهل فعلوا في أهل الأمصار مثلما فعل الفرس والروم؟ إن التاريخ يقول: إن الأجهزة الإدارية في الولايات التي فتحها المسلمون كان أغلب العاملين فيها من أبناء هذه الولايات، سواء من اعتنق منهم الإسلام أم من لم يعتنقه، وفي مراحل تالية تبوأ عدد من المسيحيين واليهود مناصب قيادية (كالوزارات مثلاً) في العديد من الدول الإسلامية لدرجة أن (آدم متز) تعجب لكثرة غير المسلمين في المناصب القيادية في الدولة الإسلامية قائلاً: كان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد المسلمين، ولعل في هذا أبلغ رد على الذين يقولون إن الإسلام يحرم الآخر من حقوقه السياسية، فكيف نتحدث عن حق المسيحي أو اليهودي في الانتخاب أو الترشيح لمجلس نيابي؟! وقد كان من اليهود والنصارى وزراء في دولة كان الدين فيها هو العنصر الرئيس الذي يستمد منه الحكم الشرعي، وقبل ذلك كله؛ فإن وثيقة المدينة التي كتبها الرسول، صلى الله عليه وسلم، لهي أبين دليل وبرهان على منح الإسلام حق المواطنة والحقوق السياسية للذمي المقيم في المجتمع والدولة الإسلاميين.

وكان من نصوص هذه الوثيقة أن يهود بني عوف يكونون أمة مع المسلمين (أمة السياسة والمواطنة)، ولكل فريق حق الاعتقاد، والحقوق المدنية كافة، إلا ما يهدد سلامة المدينة وأمنها، أو يفتت هذه الوحدة، فهل بعد ذلك حديث عن نفي الإسلام لحقوق الذمي في المواطنة وممارسة حقوقه السياسية. ومع ذلك؛ فإن ما جاء في التاريخ الإسلامي من تطبيقات فيها جوانب التشدد مع غير المسلمين، كانت مرهونة بأوقاتها وظروفها، وليست قاعدة تعامل. والقيود لم تكن مقصورة عليهم وحدهم، وما يُشاع في عدد من الكتابات غير

الدقيقة عن التمييز بين المسلمين والمسيحيين في أزيائهم، وأطعمتهم، وحياتهم الاجتماعية، ناهيك عن تذرع بعض المتطرفين من المسلمين والمسيحيين واليهود بعدم إجازة بناء دور العبادة لأهل الكتاب. يرد عليه في أنه يُجدر التمييز أولاً بين مرحلة انتشار الدعوة الإسلامية وزمن الفتوحات، وبين المرحلة المعاصرة. في المرحلة الأولى كان الحذر مسيطراً على أمصار المسلمين؛ خشية الهجمات من الخارج، وحفاظاً على الدعوة، وتأميناً لانتشارها والدفاع عنها، أما وأن الإسلام انتشر عالمياً، وبات موجوداً في بلاد الغرب كما الشرق وفي شمال العالم وجنوبه، ناهيك عن تطور وسائل الاتصال والمواصلات الّتي تربط الشعوب والثقافات والمعتقدات على اختلافها، فلم تعد هناك خشية من تراجع الإسلام كعقيدة، بل يمكن القول إن الحضارة الإسلامية احتلت مكانة ثابتة في صرح الحضارات الإنسانية كافة، بعدما سبقتها في مختلف الميادين والحقول.

في زمن الأمويين والعباسيين والفاطميين لم يكن هناك وثائق أو هويات شخصية تحدد معتقد المواطن، وكان التمييز في اللباس أحياناً ناتجاً عن الحاجة إلى تسهيل المعاملات وممارسة المعتقدات، وليس بدافع التحقير، أو تصنيف البشر بين فئات. وإذا ما ارتكبت أخطاء في عهود محددة لخلفاء المسلمين وأمرائهم يجهلون أسس العقيدة وأصول الفقه، فإنها لا تلغي القاعدة العامة من حيث إن الإسلام هو دين التسامح، والرحمة، والتعاون الإنساني، والعدل، والسلام.

في المرحلة الأولى التي أشرنا إليها، التبس الأمر حول جواز بناء الكنائس في أمصار المسلمين. في تلك المرحلة كان منع بناء الكنائس يندرج في تجنب الفتنة، والحيلولة دون وقوع الاضطراب الداخلي، ولم تندرج في أي حال من الأحوال في خانة التضييق على المعتقد المسيحي، كما يردد الحاقدون والجاهلون. مع ذلك اتجه الرأي الفقهي الراجح ويتجه

إلى جواز بناء المعابد لأهل الذمة، أو أهل الكتاب. وهذا ما قرره الفقه الزيدي والفقه المالكي وفقهاء معاصرون. (9)

إن الدراسة الموضوعية لتطور الدعوة الإسلامية، والعوامل الخارجية التي ضغطت على انطلاقتها، وخشية المسلمين من انكفاء عقيدتهم عالمياً في مراحل معينة، تفسر أسباب التشدد أحياناً تجاه غير المسلمين، وبينهم أهل الكتاب، وهذه القيود لم تكن مقصورة عليهم وحدهم، وإنما كانت في بعض الظروف على المواطنين جميعاً، ولا تكاد تخرج في إطارها العام عن قوانين الطوارئ المعاصرة. (10)

أما الجـزية فهي مشتقة من الجزاء، وهي مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب وغيرهم. وهي في حقيقتها بدل للدفاع والحماية، ويفرض الإسلام الجزية على غير المسلمين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان؛ لأن المسلمين وغير المسلمين يستظلون براية واحدة، ويتمتعون بجميع الحقوق، وينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة، ولذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن غير المسلمين وحمايتهم، والدفاع عن أعراضهم وأموالهم، ودور عبادتهم وحرياتهم في البلاد الإسلامية، التي يقيمون فيها، ولهذا تجب بعد دفعها حمايتهم والمحافظة عليهم، ودفع من قصدهم بأذى (11)، بمعنى أنه إذا أتيح لأهل الذمة المشاركة في دفع العدو، فلا تؤخذ منهم جزية. بل أكثر من هذا، وهو ما عُمِل به على أرض الواقع، أنه إذا شُغلت قوات الدولة المسلمة وجيوشها، التي يعيش أهل الذمة تحت رعايتها، وعجزت عن حمايتهم، فإنها ترد إليهم ما سبق أخذه منهم من الجزية، وهذا ما حصل بالفعل من القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح، حيث رد على أهل حمص الجزية، التي أخذها منهم عندما اضطر للانسحاب من المدينة بعد حشد الروم لجيوشهم ضد المسلمين، أيضاً صالح أبو عبيدة أهل

السامرة على إسقاط الجزية عنهم، مقابل أن يكونوا عيوناً للمسلمين وأولياء لهم.

كما أن الذين تنطبق عليهم شروط الجزية ليسوا سوى الذين تنطبق عليهم شروط الجندية، هم الذين يطالبون بالقتال في أي بلد إذا ما دقت طبول الحرب، فإذا لم يشتركوا في القتال وذهب غيرهم، ليصدوا العدوان، ويموتوا في ساحة القتال، فليس ظلماً على الإطلاق أن يدفع القاعدون مقابلاً لهذه الميزة.

ويذهب الكاتب فهمي هويدي إلى أنه ما دام غير المسلمين في الدولة الحديثة يقومون بأداء الخدمة العسكرية والدفاع عن الدولة مثلهم مثل المسلمين، فبذلك تسقط عنهم الجزية. ونقول إذا كان بعض من المسلمين يتشددون في حق الذمي، ويقلصون حقوقه التي أقرها الإسلام لسوء قراءاتهم وفهمهم للنصوص الدينية، وبعضهم الآخر من غير المسلمين يتحدثون عن عمد، أو حقد، أو عن جهل عن قسوة الإسلام، على غير المسلم حتى إنهم وصفوا المسلم الذي يدافع عن نفسه وأرضه بأنه إرهابي.

فيكفي أن نضع ما قاله الرحمة المهداة محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، أمام محكمة التاريخ لنرى هل طالب حاكم، أو سياسي، أو قائد، أو مصلح اجتماعي، أهل ملته بما طالب به الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، المسلمين من حسن معاملة أهل الكتاب من الذميين؟ حيث يقول: (أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(12) فكيف يظلم الإسلام الذميين ورسول الإسلام يحذر المسلمين أنه سيكون خصم من ظلم معاهداً أو ذمياً؟

وكان عمر بن الخطاب يسأل عن أحوالهم دوماً، ويقول الشيخ الغزالي حين طعن في صلاة الفجر، وعلم الجميع أنه ميت، أوصى الخليفة بعده بالذميين، وعدم الأذى، وعدم تكليفهم مالا يطيقون، وكذلك فعل علي، وعثمان، والصحابة، والسلف الصالح معهم.(13)

لذا صرح بعض الفقهاء أن ظلم الذمي أكثر إثماً من ظلم المسلم، أما من وصل إلى قتله، فقد ارتكب كبيرة من الكبائر، حيث روى البخاري في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً) (14).

وهذا ما أردت أن أوضحه في هذه العجالة، والحديث يطول في هذا الموضوع.

هل يصح البديل عن الجزية ؟

دفع الجزية هو كأي ضريبة تفرضها الدولة على رعاياها لرعاية شؤونهم، وحماية أوطانهم. فكل من يحمل تابعية الدولة، أي دولة اليوم تفرض عليه ضريبة معينة حسب دخله في حين أن الإسلام يفرض الجزية على الجميع بالتساوي، ثم يستثنى الفقراء، وهناك كثيرون ممن تأثروا بالغزو الفكري يرون أن عقد الذمة، وفرض الجزية إذلال لغير المسلمين، فلماذا لا تتغير التسمية؟ قبل ذلك نقول بأن عقد الذمة ليس فيه إذلال فهو مأخوذ من قولنا (كما أسلفنا) هو في ذمتي أي في عهدتي، وتحت حمايتي ومسؤوليتي، وهذا تشريف وليس إذلالاً، ومع ذلك؛ فقد قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن قبيلة تغلب العربية النصرانية يمكن أن تؤدي الضريبة تحت عنوان الزكاة لا الجزية، كما ارتضى فقهاء معاصرون كبار مثل الشيخ يوسف القرضاوي وعبد الكريم زيدان اعتبار أن الجزية هي المقابل للخدمة العسكرية، فإذا غدت هذه جزءاً من واجبات المواطن بصرف النظر عن دينه لا يبقى لها مكان، لا سيما وقد قامت، كما يقول الدكتور محمد سليم العوا دولنا الإسلامية الحديثة على أساس المواطنة أي الاشتراك في امتلاك الوطن من كل سكانه، بغض النظر عن دياناتهم، بعد أن اشتركوا في تحريره من الاحتلال، فقامت شرعية التحرير أساساً لمجتمعاتنا الإسلامية في الفكر الحديث، وهو ما أرسى أساساً مشتركاً للحقوق والواجبات بين كل المواطنين على اختلاف اتجاهاتهم وعقائدهم.

حقوق أهل الذمة:

لقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة، وماعقد من معاهدات مع أهل الذمة الحقوق التي كفلها الإسلام لأهل الذمة.

وقد أرسى الإسلام القاعدة الأساسية في بيان هذه الحقوق، فهي أن لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات، ومن هذه الحقوق:

1 - حق المواطنة: وهذا الحق مكتسب بعقد أهل الذمة الدائم، وهذا ما قرره الرسول، صلى الله عليه وسلم، على أهل الكتاب في المدينة، إذ إنه لم يخرجهم إلا بعد نقضهم للعهود مع المسلمين، وكذلك إقراره صلى الله عليه وسلم، أهل نجران من النصارى، وإقرار الخلفاء الراشدين أهل الكتاب في الشام والعراق وغيرهم على حق المواطنة، محتفظين بحقوقهم كمسلمين.

2 - الحقوق الدينية: تشمل الإشراف على كنائسهم ومعابدهم، وحق أداء شعائرهم التعبدية، وعدم التعدي على مقدساتهم.

وتعد العهدة العمرية خير مثال على ذلك، حيث أعطتهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم.

3 - الحقوق الشخصية: قرر الإسلام لغير المسلمين حقوقهم الشخصية في مأكلهم ومشربهم ولباسهم.

4 - حمى الإسلام كرامة أهل الذمة وصان حقوقهم؛ فعاشوا في ظل سماحة الإسلام وعدله، فقد أباح الإسلام زيارتهم، وعيادة مرضاهم.

5 - حق المساواة أمام القضاء: ساوى الإسلام بين أهل الذمة والمسلمين أمام القضاء والقانون وحسن المعاملة، قال صلى الله عليه وسلم: (أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (15).

لذلك حرم الإسلام الاعتداء عليهم، وعلى أموالهم وأعراضهم.

6 – حق الرعاية وضمانة الحاجات الأساسية.

7 – حق الترشيح لمجلس الشورى.

8 – حق تولي مناصب الوظائف العامة الإدارية والفنية باستثناء رئاسة الدولة؛ لأنها وظيفة دينية.

واجبات أهل الذمة:

1 – الالتزام بدفع التكاليف المالية المنصوص عليها في عقد الذمة، تؤخذ من القادر منهم، مقابل أن تؤمن لهم الدولة الخدمات التي تقدمها للمسلمين.

2 – أن يلتزموا بأحكام الإسلام بالمعاملات المتعلقة بالحياة العامة، وأن يخضعوا لنظام العقوبات كالمسلمين.

3 – أمّا أحكام الأسرة من زواج وطلاق، فلهم حرية العقود وفق شريعتهم، ويتركون أحراراً في عبادتهم.

4 – أن يلتزموا بالدفاع عن حدود الدولة بأموالهم وأنفسهم.

5 – أن يلتزموا بالآداب العامة.

6 – الحفاظ على أمن الدولة والوطن.

وكلمة أخيرة لابد من ذكرها، وهي أن الإسلام أحوج ما يكون إلى من يحسن عرضه على الناس، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجوهر ذلك؛ الاعتدال في الخطاب، والحرص على كسب العقول والقلوب، وذلك لا يأتي إلا بالابتعاد عن التطرف، وعن تبني الآراء المسبقة؛ لإرغام الناس على الأخذ بها، يجب أن لا نحصر الألوان في لونين.

إن أبرز خصائص الإسلام الوسطية وهي أمر في غاية الأهمية، ونحن نرى أعداءه يرمونه بما ليس فيه من تطرف وإرهاب، وإقصاء للآخرين، وبث الكراهية والتعصب، ومما يؤسف له أن نفراً ممن ينتسبون إلى هذا الدين، يساعدونهم في ذلك، من خلال إساءتهم لتطبيق

الإسلام تطبيقاً بعيداً عن هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، وكذلك يسيئون إلى هذا الدين من خلال عرضه عرضاً سيئاً كما أسلفنا آنفاً.

الهوامش

1.ابن منظور، لسان العرب.

2.الكاساني، بدائع الصنائع، 9/ 4328، وابن الهمام، فتح القدير، 4 /369،375).

3.حامد سلطان، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، 218و 226.

4.البقرة: 256.

5.الكافرون: 6.

6.الأنفال: 42.

7.النساء: 165.

8.فقه الجهاد، يوسف القرضاوي.

9.عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص53.

10.عبد العزيز كامل، حقوق الإنسان في الإسلام في معاملة غير المسلمين في الإسلام، ص97.

11.السيد سابق، فقه السنة، ط1، 2000، المجلد الثالث، ص49.

12. سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات.

13. الغزالي، الحق المر، ص109.

14.صحيح البخاري، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم.

15.سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات.

ثورة الصمت

أ. فـراس محمد بشارات/ دار الإفتاء الفلسطينية

بدايةً اعتذر منك يا صمت، يا من كنت رفيق دربي طوال سنوات، فبعد أن كنت أصرخ بصمت في المقال الأول، الذي جمعنا سوية في العدد (59) من مجلة الإسراء الغراء، والذي كان بعنوان (صرخة صمت)، والذي تحدثت فيه عما يدور حولنا من محاولات مستمرة لطمس معالم الإسلام، والسيطرة على المسلمين، كما ناديت فيه للحظة تأمل بصمت للتفكر والتمعن في كل هذه الأحداث، انتقلت برفقتك يا صمتي إلى مقال آخر في العدد (78) من المجلة نفسها بعنوان (صرخات ضائعة)، والذي قارنت فيه بين النخوة العربية والحمية الإسلامية التي ثارت لامرأة قالت: «وامعتصماه»، وجابت البلاد لحماية العباد من جور العباد، وبين الحمية الموجودة _ والتي لا ننكر وجودها _ بين صدورنا في هذه الأيام، والتي كانت تجوب قاعات المؤتمرات ومحطات الإعلام للشجب والاستنكار، دونما حراك فعلي للدفاع عن الإسلام والمسلمين، الذين دنست أرضهم بأقدام الغاصب المحتل، الذي ينهش أرض المسلمين وعرضهم في كل مكان.

أما الآن – وبعد هذه الفترة الطويلة من الرفقة التي جمعتني وإيـاك يا صمتي- فإني أقـدر لك ثورتك على الوضع القائم، الـذي لم يعد بالإمكان احتماله،

فالثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن بكل طريقة ممكنة.

نعم يا صمتي؛ آن الأوان أن تتحرك الشعوب، وأن يتحرك الضعفاء للصراخ بأعلى صوتهم: «يكفي صمتاً، يكفي ذلاً»، إنها لثورة تحاول رفع كلمة الحق، ثورة طال انتظارها لتضع الأمور في نصابها.

إنها ليست ثورة ضد الحكام الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعتهم، والوقوف إلى جانبهم، بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء: 59)، ولكنها ثورة ضد أنظمة بالية، ينتهجها الحكام لقيادة هذه الشعوب الضعيفة، فمن يعتقد بأن هذه الأوضاع، والظلم، والاضطهاد، وغيرها من أمور الإذلال، ستزول بزوال الحكام، فهو مخطئ، فما الحكام الموجودون سوى أداة لنظام متكامل يسعى لإضعاف الشعوب.

فإذا كنا نريد تغييراً جذرياً؛ فلا بد للتغيير أن يكون متكاملاً، يبدأ من جذور هذه الأنظمة إلى أعلى قمة في هذه الأنظمة المبنية أساساً على قواعد ضعيفة هشة، تعمل لمصالحها الضيقة، وتتستر بحاكم ظالم، يعمل هو الآخر في رأس النظام، والمصيبة، والطامة الكبرى، عندما تواجه قمة النظام بمصائب جذر النظام، ويكون لا يدري بها، أو يتغاضى عنها.

وهنا يحضرني قول الشاعر ابن القيم:

فـإن كنت لا تـدري فتلك مصيبة وإن كنت تـدري فالمصيبة أعظم

وسبب استحضار هذا البيت من الشعر أن رأس النظام في بعض المواقع والدول لا يدري بما يدور حوله، وبعضهم الآخر يدري بما يدور حولهم، وهو متواطئ في ذلك، لأسباب منها: قلة الحيلة على تغيير الحال، أو ربما لرضا منه عن هذا الحال، لعدم وجود من يقول له: كفى، أو إلى أين أنت ذاهب بنا؟!.

أما الآن؛ وبعد أن أفاقت الشعوب، لتجد نفسها مقيدة دون قيد، فلا تستطيع أن تفعل شيئاً دفاعاً عن حريتها أو كرامتها، فكان لابد أن يدفعوا ثمن هذه الحرية؛ حتى يعيش غيرهم، ويتمتع بنعمة الحرية، حيث تذكَّروا أن الله خلقهم أحراراً، ولن يرضوا بغير الحرية بديلاً، وهانت عليهم أنفسهم في سبيل الحصول عليها من فم نظام استباحها لعقود.

وأنا هنا لا أعمم في الكلام، وإنما أخص بالذكر الحكام والأنظمة التي تضطهد شعوبها، وأيضاً هذا الكلام ليس المقصود به حكام الدول فقط، وإنما أيضاً يقصد به كل مسؤول يتولى منصب مسؤولية في أي موقع من مواقع النظام، فمخطئ من يعتقد بأن هذا المنصب دائم له، أو أنه دائم لهذا المنصب.

ولكن- ولله الحمد - فقد تغيرت الأحوال، وثارت الشعوب، فهي ثورة خرجت من صمت حناجر اضطهدت وعانت، وهي تبحث عن خلاص حالها المتردي. ولا نستطيع سوى أن نقول: يكفي قهراً، يكفي ذلاً، ويكفي سكوتاً عن الحق، وتزويراً للحقائق، والحذر الحذر من ثورة المظلوم.

المكتبة المدرسية ودورها في تعليم اللغة العربية

أ. يوسف عدوي / جامعة بيت لحم - كلية التربية

تمهيد:

لا بد لنا أن نشير في بداية بحثنا هذا، المتعلق بالمكتبة المدرسية ودورها في تعليم اللغة العربية، إلى أن العملية التعليمية تهدف إلى تزويد الطالب بخبرات واتجاهات ومعارف متنوعة، تساعده على أن يعيش حياة ناجحة، وتمكنه من التكيف مع بيئته، وحل المشكلات التي تواجهه، وهذا لا يتأتى إلا بتوفير مجالات الخبرة التي تسمح له بمتابعة التعلم، واكتساب الخبرات الجديدة؛ حتى يكون قادراً على مواجهة التغيرات المستمرة في الحياة. ومصادر التعليم والتعلم بمفهومها الواسع هي التي تساعده على الاستمرار في اكتساب المعرفة الجديدة، والمكتبة بشكل عام، والمكتبة المدرسية بشكل خاص إحدى هذه المصادر المهمة، والركائز الأساسية في المنظومة التربوية، التي لا يستغنى عنها البتة.

المكتبة لغة: من كتب الكتاب، يكتب كتباً وكتاباً وكتابة بمعنى خطّ الكتاب فهو كاتب. ويقال: كتب الكتاب، عقد النكاح. وكتب الله الشيء: قضاه وأوجبه وفرضه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(1)، والمكتبة: مكان بيع الكتب والأدوات الكتابية، ومكان جمعها وحفظها.

المكتبة في الاصطلاح: المكتبة هي مجموعة من الكتب والمطبوعات الأخرى، والمواد التعليمية

مرتبة حسب الموضوع على الرفوف، ولها كشاف على بطاقات بالعنوان، أو المؤلف، أو الموضوع والمواد التي لدى المكتبات، وتشمل الكتب والموسوعات والقواميس والأطالس والنشرات، بالإضافة إلى المواد السمعية والبصرية والأفلام والميكروفيلم والصحف والدوريات.

ولأهمية الكتب والكتابة والكتاب، ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الفعل كتب ومشتقاته (320) مرة، ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ... }(2)، وقوله تعالى: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(3).

أنواع المكتبات:

1 – **المكتبة العامة**: هي مكتبة مخصصة للجمهور بشكل عام، يقصدها جميع المواطنين بلا استثناء، وقلما تخلو مدينة أو منطقة من مكتبة عامة، وقد عمدت بعض المكتبات الكبرى في البلدان الواسعة إلى إيجاد فروع لها في المدينة الواحدة، فمكتبة شيكاغو العامة، تملك أكثر من سبعين فرعاً منتشراً في أرجاء المدينة، وطبيعة هذه المكتبة تجعلها مفتوحة الأبواب جميع أيام الأسبوع، وخاصة أثناء العطل، ويجب أن يكون تنظيمها سهلاً، وكتبها غير متخصصة، وتشكل القصص نسبة عالية من كتبها.

2 – **مكتبات الأطفال**: يهتم هذا النوع من المكتبات بالأطفال وحدهم نتيجة لغزارة ما ينشر للأطفال، ولأن الطفولة عالم متميز عن عالم الراشدين، وطبيعة المواد هنا تختلف اختلافاً كبيراً عنها في غيرها من المكتبات، بحيث تكون سهلة واضحة محسوسة جذابة أنيقة مشوقة، وتهتم المكتبة بالقصص، وطرق قص القصص، وبالأفلام، والنماذج، والصور المتحركة.

3 – **المكتبات القومية**: مكتبات كبرى، أسستها الدول لتكون مستودعاً للنشاط الرسمي

للدول، وهذه المكتبات تكون مقر الإبداع القانوني، كما هو الحال في مكتبة الكونغرس، ومكتبة المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية في فرنسا، وهذه المكتبات يقصدها غالباً الباحثون والدارسون.

4 - **المكتبات الحكومية**: نشطت بعد الحرب العالمية الثانية لرغبة الحكومات في البحث والدرس والاختراع، غايتها تسهيل عمل الباحثين، من أجل خدمة غايات حكومية، فأوجدت المكتبات الرسمية، التي مهمتها تسهيل عمل الباحثين بتكليف رسمي من الدولة، ولخدمة الحكومة.

5 - **المكتبات الخاصة**: قد تكون خاصة بفرد من الأفراد، وهذه كثيرة جداً، أو بشركة ما، أو مؤسسة معينة.

6 - **المكتبات الجامعية**: كل جامعة فيها مكتبة لغرض استعمال الطلبة والأساتذة والبحث.

7 - **المكتبات الدينية**: جرت العادة أن يلحق بالمعبد سواء أكان جامعاً أم كنيسة أم غيره، مكتبة تضم عدداً من الكتب، يساعد الباحثين والمراجعين في إيجاد ما يبغون، وطبيعة الكتب هنا دينية، ولكن لا يمنع من وجود كتب تبحث في مواضيع أخرى.

8 - **المكتبات الفنية**: وهي المتخصصة في مواضيع فنية بحتة؛ كالموسيقى، والرسم، والتصوير.

9 - **المكتبات المدرسية**: وهي المكتبات التي تلحق برياض الأطفال والمدارس الأساسية والثانوية، ونرى أن الرغبة في عدم الاعتماد على الكتاب المدرسي أدت إلى زيادة الاعتماد على هذا النوع من المكتبات، وجعلت بعض المدارس المكتبة مركزاً للدراسة والتحضير، كما تفعل المدرسة الثانوية التابعة لجامعة شيكاغو، إذ إن الطلبة هناك يمضون ثلاثة أرباع الوقت المخصص لكل حصة في المكتبة، يحضرون المواد التي أعطاهم إياها الأساتذة.

10 - **المكتبات التقنية**: وهي التي تلحق بالمصانع والمعاهد التقنية، ومهمتها تزويد الباحثين فـي هـذه المعاهد بالمواد اللازمة لمتابعة أبحاثهم، ويكون التركيز على المواد التقنية والفنية.

11 - **مكتبات المكفوفين والمصابين بعاهات مستديمة**: وهنا نجد الكتب مصنوعة على طريقة بريل، ونجد المواد التي تعتمد على الحواس السمعية بالنسبة إلى العميان، والمواد التي تعتمد على الحواس اللمسية والبصرية بالنسبة إلى الصم والبكم.

حاجة المدرسة إلى مكتبة:

إن المكتبات المدرسية ضرورية ومهمة في كل مكان وزمان، وشبهت المكتبة المدرسية بالقلب الذي يمد سائر الجسم بالدماء، إليه ترد الدماء، وعنه تصدر الدماء النقية، وشبهت بالدماغ مركز تفكير الإنسان، ودعامة توازنه، فكما أن الجسد لا خير فيه، ولا حياة بدون دماغ ولا قلب، كذلك المدرسة تكون جسداً بلا روح، وشكلاً من غير معنى بدون مكتبة.

لهذا؛ يجب أن تشمل مكتبة المدرسة مصادر ومراجع وكتباً مفيدة، تساعد المعلمين على زيادة معلوماتهم، والتوسع في موادهم التي يدرسونها، وتتابع ما يجد من مؤلفات حديثة لتكون في متناول أيديهم، ومراجع تفيدهم في تحقيق النشاط المدرسي بأنواعه المتنوعة، وكذلك على كتب مفيدة للطلبة، ومشوقة لهم، وتتفق مع ميولهم ورغباتهم، وتساير مستوى نموهم الفكري والاجتماعي.

كيف نجعل من المكتبة المدرسية مصدراً من مصادر تعلم اللغة العربية؟

1 - على المعلم تخصيص حصص يزور فيها الطلبة مكتبة المدرسة.

2 - تشجيع الطلبة على المطالعة الحرة، وتكليفهم ببعض الواجبات التي تحتاج الإجابات عنها إلى الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في مكتبة المدرسة، ومتابعتهم في

أداء هذه الواجبات والمهمات.

3 - يولي مكتبة الصف عناية واهتماماً زائدين من ناحية اختيار الكتب ومناسبتها لمستوى الطلبة.

4 - تشجيع الطلبة على إنشاء مكتبات خاصة في بيوتهم.

5 - التأكيد على أن الكتاب المدرسي مصدر واحد من مصادر كثيرة، يعتمد عليها في تنمية الخبرات والمعارف.

6 - تحليل المنهاج لإعداد قوائم الكتب، التي تخدم الأهداف التربوية والتعليمية للمنهاج.

7 - وضع أو تخصيص نسبة من العلامات على الأنشطة المكتبية.

8 - مناقشة الطلبة في المواد التي يعدونها من المكتبة.

9 - تقديم جوائز رمزية لأوائل المطالعين.

10 - تدريب الطلبة بالتعاون مع أمين المكتبة على كيفية الاستخدام الأمثل لكتب المكتبة، وأسهل الطرق من أجل الحصول على الكتاب الذي يرغبون في الإفادة منه.

معلم اللغة العربية والمكتبة

تقع على المعلم مسؤولية تشجيع الطلبة على ارتياد المكتبة المدرسية، ومساعدتهم على اختيار الكتب الملائمة لمستواهم العقلي والزمني، ويكون المعلم على صلة بأمين المكتبة؛ لتزويده بقوائم الكتب المتوافرة في المكتبة. وينبغي على معلم اللغة العربية تخصيص وقت معين من جدوله الأسبوعي لمطالعة الطلبة داخل المكتبة، فهذا أمر مطلوب لزيادة ثروة الطلبة من المعرفة والمعلومات، فكثيراً ما يحتاج الطلبة لا سيما الأذكياء منهم على مادة موسعة لما قرأوه في دروس اللغة العربية، وبناء على ذلك؛ يستطيع المعلم أن يكتشف مواهب طلبته وميولهم لتوجيههم نحو المستقبل المهني أو

الأكاديمي، ويساعد المعلم في مهمته هذه ما يوفره الجو المكتبي من حرية في التعامل بين الطلبة والمعلم، كما أن جو المكتبة يقطع الروتين المدرسي، ويشعر الطلبة بمكانتهم واهتمام معلمهم بهم، فيكتسب الطلبة فضلاً عن المعلومات العملية والأدبية صفات وجدانية توسع علاقاتهم الاجتماعية، فتبنى علاقة حب بين المدرسة والطلبة نتيجة هذا التفاعل الاجتماعي، ومطلوب من المعلم تشجيع الطلبة وإرشادهم إلى المطالعة الحرة، وكيفية الرجوع إلى المصادر، والتعامل مع الكتاب، وتنمية الميل العقلي لديهم، فضلاً عن تنمية الجوانب الوجدانية والنفسحركية، فالكتاب أنيس للطلبة، ونستطيع جعل المكتبة مجالاً مهماً في التوفيق بين البيئة الخارجية والمحيط المدرسي في تعديل سلوك الطلاب، فمطلوب من المعلم أيضاً أن يقيم علاقة ودية بين الطالب والكتاب، فكل كتاب يؤثر في شخصية الطالب وفي بنائها وتكوينها، فالعلاقة الودية بين الطفل والكتاب تعين على اكتساب مادة المطالعة، وتنمي ميول الطفل القرائية، وعلى المعلم توجيه قراءات الطلاب من خلال معرفته المكتبة وما تحويه من كتب وسواها، ويستند إلى معرفة نفسية الطفل وحاجاته القرائية ومعرفة الموضوعات التي تلبي ذلك. وعلى المعلم أن ينتبه إلى أن المكتبة المدرسية لن تؤدي دورها المؤثر في ثقافة الطفل بدون زاوية القصة والمعارض، وسماع الموسيقى بهدف مساعدة الطفل على تكوين شخصيته، وإيقاظ شعوره، وتنمية ذوقه، والألعاب المكتبية، مثل المسابقات والأحاجي والألغاز، والتحدث عن الكتب التي أعجبت الطفل، ودعوة بعض كتاب أدب الأطفال للتحدث عن كتبهم، أو أي موضوعات تهم الأطفال، وتكليف بعض الأطفال بقراءة قصة، أو سردها بلغتهم الخاصة، والعمل على إيصال الخدمة المكتبية إلى كل طفل بوساطة نظام الإعارة المعمول به في المدارس. ولعل من بين الأهداف المهمة للتربية، توجيه الأطفال إلى الكتب والقراءة الهادفة، لأن ما يكتسبه الطالب من الخبرات والمعلومات بجهده

ونشاطه، يعد أقوى فاعلية، وأكثر تأثيراً مما يتلقاه عن طريق التلقين؛ لأن التلقين يزود العقل بالمعلومات فقط، أما اكتساب المعرفة عن طريق الممارسة العملية، والمطالعة الحرة، والبحث، فتزود الطالب القدرة على استخدام هذه المعرفة، وتخلق لديه ملكة الابتكار، وتعده للنجاح في ميادين الحياة المختلفة.

على المعلم أن يعرف أن الدراسات التربوية المعاصرة أثبتت أن الطفولة في العالم كله موحدة الحاجات القرائية، وهذا لا يعني إغفال خصوصية الطفل العربي، خاصة قضية القيم التي تتصل بأناه العليا، وتصب هذه التأكيدات على تحديد الأنواع الأربعة الآتية للقراءات:

(1) الحيوان وما يتصل به: يحتاج الطفل إلى معرفة طبائع الحيوانات وعاداتها وما يتعلق بها.

(2) الإنسان وما يتصل به: المهن والتفكير والعادات والديانات والتاريخ وغيرها.

(3) الطبيعة وما يتصل بها: الظواهر الطبيعية المحيطة بالطفل من أرض وهواء وماء وغيرها.

(4) الكشوف والاختراعات العلمية وما يتصل بها.

على المعلم أيضاً أن يطلب من طلبته تخصيص دفتر للمكتبة، يكتب فيه الطلبة ما يعجبهم في الكتب أو القصص التي يقرؤونها، أو يقومون بالتلخيص، أو استنتاج الأفكار واستخلاص العبر، كذلك عليهم توثيق الكتب التي قرؤوها في الدفتر نفسه، ويناقشهم فيما قرؤوا، ويجري المسابقات الثقافية واللغوية في المكتبة، ويخصص جوائز للقارئ الماهر، أو لأحسن قارئ، أو لأكثر قارئ ... إلخ.

الهوامش

1. البقرة: 183.
2. البقرة: 282.
3. النحل: 64.

المصادر والمراجع

1. أساليب تدريس اللغة العربية، جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1997م.
2. أسس الفهرسة والتصنيف للمكتبات، ربحي مصطفى عليان، دار صفاء، عمان، 1999م.
3. أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، سعيد أحمد حسن، دار الفرقان، عمان، 1984م.
4. تنظيم المكتبة المدرسية، محمد ماهر حمادة وعلي القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1969م.
5. تنمية مجموعات المكتبة، ربحي مصطفى عليان ويسرى أبو عجمية، دار صفاء، عمان، 2000م.
6. الثقافة المكتبية، فايز علي الغول وكايد عبد الحق، المطبعة العصرية، القدس، 1965م.
7. دراسات في علوم المكتبات، شاهر ذيب أبو شريخ، دار صفاء، عمان، 2000م.
8. دليل المدرس في إنشاء مكتبة، ط2، ماري جميل فاشة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1986م.
9. دليل المكتبيين، ماري فاشة، عمان، 1991م.
10. مئة سؤال عــن المكتبات والتوثيق والأرشيف الصحفي، ط2، طلعت همام، دار الفرقان، عمان، 1987م.
11. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، مصر، 1972م.
12. المكتبات ومراكز المعلومات في الأردن، يوسف قنديل وآخرون، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 2000م.

من نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

قام سماحة الشيخ محمد حسين ـ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – بالعديد من النشاطات والمشاركات على أكثر من صعيد ومجال، منها:

ضمن وفد مقدسي: المفتي العام يشارك في تسليم رسالة تطالب بالاعتراف بدولة فلسطين لهيئة الأمم المتحدة بالقدس

القدس: ضمن وفد مقدسي ضم عدداً من الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية، شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك– بتسليم رسالة الحملة الوطنية العليا لاستحقاق أيلول للمطالبة بالاعتراف (بعضوية كاملة في الأمم المتحدة لدولة فلسطين) لممثل الأمين

العام للأمم المتحدة في المقر الرئيس لهيئة الأمم المتحدة في القدس، وقد بين سماحته أن على العالم الحر أن يقف إلى جانب الشعب الفلسطيني ضد آخر احتلال في العالم، مبيناً أن السكوت عن جرائم الاحتلال عار على البشرية جمعاء.

المفتي العام: سلطات الاحتلال تعمل على إلغاء الهوية الفلسطينية العربية بالقدس

رام الله: أكد سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- أن سلطات الاحتلال تعمل جاهدةً على شطب

الهوية العربية الفلسطينية في المدينة المقدسة، عبر إلغاء القطاعات التي تظهر الوجود الفلسطيني فيها؛ كالاجتماعي، والصحي، والثقافي، داعياً للمحافظة على وضع القدس ومكانتها بتطويرها، والمحافظة عليها، لجعلها عاصمة لدولة فلسطين المنتظرة، وقد أشاد سماحته بالدور والدعم الأوروبي المهم لمساعدة الشعب الفلسطيني وقضيته، جاء ذلك خلال مشاركة سماحته وعدد من المسؤولين الرسميين باستقبال القائم بأعمال ممثل الاتحاد الأوروبي في القدس المحتلة السيد (جون روتر) وعدد من المنسقين.

المفتي العام يشارك في مؤتمر صحفي لنصرة الأسرى

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في المؤتمر الصحفي الذي عقدته وزارة شؤون الأسرى والمحررين في مقر الصليب الأحمر برام الله، وحضره عدد من المسؤولين الرسميين والشعبيين إلى جانب أهالي الأسرى للتضامن مع الأسرى المحتجزين لدى سلطات الاحتلال، والمضربين عن الطعام رداً على سوء المعاملة من قبل سلطات الاحتلال، وأكد سماحته على ضرورة تحرك جميع المنظمات الدولية للوقوف إلى جانب الأسرى، والضغط على حكومة الاحتلال لإجبارها على معاملة الأسرى المعاملة الإنسانية، التي كفلتها الديانات السماوية والقوانين الدولية، مبيناً أن قضية الأسرى على رأس سلم الأولويات للقيادة الفلسطينية.

خلال اجتماعه مع أعضاء في المجلس التشريعي
المفتي العام يستعرض دور دار الإفتاء في حماية المقدسات الفلسطينية

القدس: استعرض سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- أمام المجلس التشريعي الدور الذي تقوم به دار الإفتاء الفلسطينية في حماية المقدسات الفلسطينية بالقدس، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

جاء ذلك خلال مناقشة المجلس لقانون دار الإفتاء الفلسطينية المقدم له، وقد رفع المجلس توصية لهيئة الكتل والقوائم البرلمانية تؤكد على ضرورة إصدار هذا القانون لتنظيم عمل الدار.

على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية
المفتي العام يستنكر حرق مسجد النورين في قرية قصرة

نابلس: قام سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية،

خطيب المسجد الأقصى المبارك- على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة لمسجد النورين، في قرية قصرة في محافظة نابلس، والذي تم إحراقه على يد مجموعة من المستوطنين، ودان سماحته قيام المتطرفين المستوطنين بأعمال العربدة ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، محملاً سلطات الاحتلال - التي توفر الحماية لهم- عواقب هذه الانتهاكات، وبين أن سياسة حرق المساجد من قبل هذه المجموعات الضالة تدفع المنطقة إلى حرب دينية لا تحمد عقباها.

ضمن وفد من دار الإفتاء الفلسطينية

المفتي العام يهنئ الأسرى المحررين من سجون الاحتلال

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- وفداً من دار الإفتاء الفلسطينية لتقديم التهاني للأسرى المحررين من سجون الاحتلال، وذلك في الرام وقلنديا ورام الله وكوبر، وقدم سماحته والوفد المرافق التهاني للأسرى وعائلاتهم، وللقيادة والشعب الفلسطيني بكافة فصائله، مشيداً بهذا الإنجاز الهام، مبيناً أن القيادة والشعب الفلسطيني يولون قضية الأسرى بالغ الاهتمام، وهي على رأس سلم أولوياتهم، كما طالب سماحته المواطنين بالاستمرار بتقديم المساعدة الممكنة لدعم الحركة الأسيرة، حتى تحقيق مطالبهم الإنسانية والعادلة جميعها.

والأسرى المحررون الذين تمت زيارتهم هم: الأخت سناء شحادة، والإخوة أحمد عميرة، وعلي مسلماني، ومحمود ضمرة، وفخري البرغوثي ونائل البرغوثي، وربيع البرغوثي.

كما زار سماحة المفتي العام جميع الأسرى المحررين وذويهم في المدينة المقدسة، وقدم لهم التهاني بتحريرهم من الأسر.

تهنئة الأسير المحرر البطل علي بدر راغب مسلماني
بمناسبة تحرره من سجون الاحتلال

مجلس الإفتاء الأعلى يؤيد القيادة الفلسطينية في التوجه للأمم المتحدة لنيل العضوية الكاملة للدولة الفلسطينية ويبارك للأسرى المحررين

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- الجلستين الواحدة والتسعين والثانية والتسعين لجلسات مجلس الإفتاء الأعلى، حيث بحث العديد من الموضوعات الفقهية التي تهم المواطنين في حياتهم اليومية، وقد حضر الجلستين أعضاء المجلس من محافظات الوطن، وقد أيد المجلس توجه القيادة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة لنيل الاعتراف الدولي بدولة فلسطين

كعضو كامل العضوية في هيئة الأمم المتحدة، وانتقد المجلس التهديدات والضغوط التي تمارس ضد القيادة الفلسطينية لثنيها عن هذه الخطوة المهمة والتاريخية في تاريخ الشعب الفلسطيني، كما هنأ المجلس الأسرى المحررين من سجون الاحتلال بنيل حريتهم وحمد الله على سلامتهم، مؤكداً على ضرورة الإفراج عن جميع الأسرى دون قيد أو شرط.

مفتي سلفيت يلقي محاضرتين دينيتين

سلفيت: ألقى فضيلة الشيخ جميل جمعة – مفتي محافظة سلفيت– محاضرتين دينيتين لعدد من أفراد الأمن الوطني تناول فيها أهمية الأمانة في حياة المسلم، وضرورة حملها كما أمر الله سبحانه وتعالى دون تفريط، مبيناً أنواع الأمانة التي منها: أمانة المادة، وأمانة العمل، كما تحدث فضيلته عن الصبر والثبات، مبيناً أن الصبر نصف الإيمان، وأن النصر صبر ساعة، فالصابرون لهم الأجر والرضوان من ربهم، وقد حضر هذه الندوات عدد من أفراد الأمن الوطني.

مفتي محافظة نابلس يلقي العديد من المحاضرات الدينية

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش– مفتي محافظة نابلس– العديد من المحاضرات لمنتسبي الأمن الوطني والأمن العام، تناول فيها العديد من الموضوعات؛ كالتقوى، والصلاة، وصلة الأرحام، كما شارك في اجتماع مع رئيس بلدية نابلس لحل مشكلة الازدحام في المقبرة، وسبل التعامل مع هذه القضية، علماً بأن فضيلته يلقي خطب الجمعة في مساجد المحافظة، ويقدم العديد من البرامج الدينية في وسائل الإعلام المختلفة.

مسابقة العدد 100

السؤال الأول: ما ... ؟

1. سبب نزول: أ. {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}
   ب. {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ}
2. سبب تسمية صفر بهذا الاسم؟
3. رقم قرار التقسيم الصادر عام 1947م؟
4. المقصود بالجزية؟

السؤال الثاني: من ... ؟

1. القائل: أ. ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذّكرت طاعة الله نضوا؟
   ب. فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم؟
2. صاحب كتاب أسرار التكرار؟
3. أول سفير في المدينة للإسلام؟
4. القائم بأعمال ممثل الاتحاد الأوروبي في القدس المحتلة؟

السؤال الثالث: متى ... ؟

1. عقدت دورة المؤتمر الرابع لمجمع الفقه الإسلامي؟
2. وضع الفلكي المصري سوسيجين التأريخ الحسابي الذي يستند إلى السنة الشمسة؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 100
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 98

السؤال الأول:

1. الحديث: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا...).(ص16)
2. ابن عباس، رضي الله عنه.(ص61)
3. السيد رياض الحسن.(ص98)
4. الدكتور هاني عابدين. (ص102)
5. فضيلة الشيخ (محمد ماهر) مسودة.(ص108)

السؤال الثاني:

1. صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة.(ص23)
2. عام 8 هـ (ص35)
3. في شهر رمضان من عام 658هـ .(ص28)
4. في رمضان سنة 15 هـ.(ص35)
5. في رمضان سنة 361هـ.(ص35)

السؤال الثالث:

1. للصوم 3 مراتب أدناها الامتناع عن الأكل والشرب والشهوة.... (ص41)
2. في هذه المسألة أقوال، ليس على أحدهما دليل ناهض، والأقرب لزوم أهل كل بلد الرؤية، وما يتصل بها من الجهات التي على سمتها.(ص43)
3. في الفريضة لا بد من تبييت النية، أما النافلة ؛ فلا يشترط تبييت النية.(ص 44)
4. النرويج.(ص93)
5. رقم الفوج 91 . (ص97)

الفائزون في مسابقة العدد 98

المرتبة	الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	لينا عدنان الأقرع	نابلس	300
الثانية	معاذ يوسف عيسى خليفة	بيت لحم	250
الثالثة	جميلة محمد عبيد	رام الله	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 4 صفحات حجم A4، والبحث عن 8 - 10 صفحات.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org